الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي

سَيَكُونُ يَوْمًا رَائِعًا

قراءة في فصول رحمة الله تعالى ولطفه وعفوه
وكرمه ونعيمه الذي ينتظرك في ساحات القيامة



دار القلم
دمشق


سيكون
يوماً رائعاً



الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
kalam-sy@hotmail.com
الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١
توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:
دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤



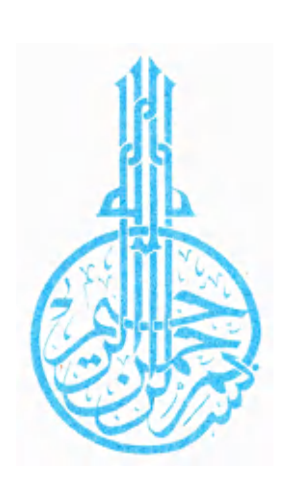
قراءة في فصول رحمة الله تعالى ولطفه وعفوه
وكرمه ونعيمه الذي ينتظرك في ساحات القيامة



الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي



دمشق





مقدمة



• **زارنا يوماً أحدُ كبار السِّنِّ** ممَّن كانت له صحبة قديمة بالوالد، وكنت في زمن من عمري إذا جاءنا زائرٌ للوالد أبقى معهما زمناً، ثم أدعهما يقضيان وطرهما من بعضهما، إلَّا ذلك اليوم فقد حبسني ذلك الرجل معه، ولم أستطع أن أفارق ذلك المجلس لحظةً واحدةً، وقد طاف بقلبي حنينٌ إليه لم أعهدْه من قلبي لكبير سِنٍّ مثله، حتّى إني قلتُ للوالد: لي رغبة بزيارة هذا الرجل في بيته، وسُرَّ الوالد بذلك وفرح.

ـ **وسرُّ هذا التعلُّق**: أنَّ هذا الرَّجُلَ على عامِّيته قد فتح لي أبواباً من أبواب الأمل والرجاء في ذلك اللِّقاء، قال لي في معرض حديث طويل: هل أمُّك تحبُّك؟ قلتُ له: بلا شكٍّ، قال: وتبذلُ من أجلك كلَّ شيء؟ قلتُ له: وأكثر من كلِّ ما يقال، فقال لي: والله، إنَّ ربَّك تعالى أرحم بك





من أملك! والله يا ولدي، لو أنِّي قَدِمْتُ على الله تعالى هذه اللحظـــة، لَقدمتُ وأنا في كامل ســروري! لقد بذلْتُ كلَّ ما أملك في سبيل رضاه، وجهدتُ بكلِّ طريق في عبادته، وأعلم يقيناً أنه يُكافئ بما يفوقُ التصوُّرات!

ـ لقد دُهشتُ من تلك المعاني التي يُلقيها ذلك الرَّجُلُ العامِّي في ذلك اللِّقاء، **وأشـــد معاني تلك الدهشـــة: ذلك اليقين برحمة الله تعالى**، لقد طـال الحديث وهو يتحدث عن فصول الفأل الرائـــع والجمال الأخَّاذ، وأخذ يقصُّ من فصول رحمة ربِّـــه ولطفه، ويكرِّر في بيـــان عفوه وحلمه، حتَّى أدركتُ يومها أنِّي تلميذٌ في رحاب مدرسةٍ تُعَلِّم كيف تتعلَّق القلوب بالله تعالى؛ من خلال عفوه ورحمته، لا من خلال عذابه وعقابه، وأدركتُ كم هي حاجة العالمين إلى هذا الخِطاب الذي يَصِلُك بالله تعالى مباشـــرة، ويفتح لك البابَ مـــن أول وهلة، ويصلـــك بربِّك مـــن أول لحظة، ويصنع في قلبك جبالاً من الحبِّ لله تعالى، والإقبال عليه، وحُسْن الفأل والأمل بأماني الدَّارَيْن.

ـ لقد غلبتْ مفاهيمُ الرَّهْبة على الرَّغْبة، والعذابِ على الرحمة، والشَّقاء على السَّعادة في أحاديث كثيرين، حتَّى بات الإنسانُ مُثْقَلاً بالهموم وهو في غمرة العبادة، ومُشْبَعاً



باليأس وهو فـــي زحمة الطريق، وما أكثــر الأوقات التي يتعبَّد فيها الإنسانُ لربِّه، ولكنه لا يجد لتلك العبادة تلذُّذاً، ولا يُخالجه شعورُ الجمال وهو في الطريق إلى الله تعالى، وأيُّ معنى لجهودٍ لا تستشــعر هذا المعنى، ولا تلقى في الطريق ما يُغريها بالحياة؟!

- خرج ذلك الرجـــلُ من بيتنا وودَّعَنـــا بعد أن علَّمنا الحياة، **خرج بجسده وقد ألقى بروحه وفأله وأمله في كلِّ زاويةٍ من بيتنا، وشـــاعتْ أنوارُ ذلك اللِّقاء في كلِّ مساحةٍ من مشاعرنا**، وعدتُ لأمِّي أروي لها قصةَ اللِّقاء، ومشاهدَ الجمال، وأقصُّ عليها فصولَ الحياة الجديدة التي تعلَّمْتُها في لحظةٍ من اللَّحظات.

- ثم شـــاء اللهُ تعالـــى أن يصادفَ هـــذا المعنى تلك الرَّسائل التي كان يبعثها إليَّ مدير دار القلم **الأستاذ عماد الدين دولة**، بيـــن الفينة والأخرى، عـــن رحمة الله تعالى وعفوه، وســـعة حلمـــه ومغفرتـــه، وكان لا يَلقـــى حديثاً أو منشـــوراً يُغري بهذه المعانـــي إلَّا بعثه، ثـــم دار بيننا تواصُـــل، وأخبرني يومها: **أن عالَمَ اليـــوم مأزومٌ حتى في علاقته مع ربِّه تبارك وتعالى، ولا يشعر بهذه المعاني التي جاءت في كتاب الله تعالى، وسُـــنَّة رســـوله ﷺ**، وما هو



بحاجةٍ إلى شـــيء حاجَتَه إلى عرض هــذه المعاني، لعلَّه يستقي منها الحياة، وما زال يتعاهد وصيته حتَّى التقينا في جدة، وأعاد الموضوع من جديــد، وطلب أن يتحوَّل إلى واقع عملــي، واقترح حتى عنوانه «**ســيكون يوماً رائعاً**»، وها هو اليوم كمــا أراد، فجزاه الله تعالــى خيراً، وجعل ما أوصى به فاتحةَ خيرٍ، وطريقاً لهداية العالمين.

- **وها أنا ذا أعيد ترتيب نصوص هذا المعنى الكبير، وأدفع بتلك المباهج إلى القلوب**، وأدعو العالَمِين لاعتناقِ هذا الدِّين من خلال فُسَــحِه ومباهجــه وربيعه، وأحداث الجمال والسعة والرفق في معانيه.

والله المسؤول أن يتقبَّله، ويفتحَ به آفاق الجمال، ويردَّ الناسَ به ومن خلاله إلى ربِّهم، ويُلقي بهم في بحور الفأل والأمل، والسعادة والتوفيق، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

المؤلف

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

المملكة العربية السعودية

محافظة القنفذة ـ حلي

Mashal001@gmail.com





الفصلُ الأوَّل

مشاهد من رحمة الله تعالى



١

إنَّه هو الغفورُ الرَّحيم

• **ماذا لو أنَّكَ وقفتَ بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وقد اقترفتَ شـيئاً من السَّـيِّئات**، أو أخطأت في حقِّه، أو تسوَّرْتَ محاريب شريعته، وتقحَّمْتَ في كونه ببعض المنكرات؟!

ماذا لو أنَّك لقيتَه وقد هتكتَ سـتره، وبنيتَ شهواتِك على حساب شريعته ومنهجه، وقدَّمْتَ مُرادَك على مراده؟!

ماذا لو أنَّك بقيتَ عمرك كلَّه مُخطئاً مسـرفاً، متعدِّياً حقوقَه؟!

ماذا لو أنَّك ولغتَ في كلِّ الخطايا، وأقمتَ زماناً من عمرك على انتهاك حرمات ربِّك، وأصررتَ على صغائر، ولازمتَ كبائر زماناً من عمـرك، ثم لقيتَ الله تعالى على تلك الخطايا والأوزار بكلِّ فصولها وأحداثها؟!

ـ **أجزم أنَّك لو أخطأتَ في حـقِّ مخلوق مرةً واحدةً، ثم كَفَفْتَ عن ذلـك؛ لبقيتْ تلك الخطيئـةُ لديه ما بقي الزمان**، وربَّما ظلَّ ينتظر الوقت ليردَّ لك ذلك الدَّين، ولم يَشْفِ ما في قلبه!.. فكيف لو بقيت زمناً تُخطئ في حقِّه، وتتجاوز حُدودَه، وتأتي في طريقه بالعقبات؟!





• **دعني هنا أنقلك إلى صورةٍ من صـــور جلالِ ربِّك، وعظيم سلطانه، وكمال رحمته ورأفته بك،** سأعرضُ عليك صورةً من صورٍ كثيرةٍ تخبرك عن رحمةِ ربِّك، وسعةِ حلمه، وعظيمِ عفوه، وأنه لا حاجة به إلى عذابك وشقائك.

ســأنقلُ لك دعوة الله تعالى للكافريــن، المُلْحدين، المُعْرضين، الَّذين لم يعترفــوا به ربّاً فضلاً عن أن يعبدوه ويُخطئوا الطريق.. صور يخبــرك اللهُ تعالى فيها أنَّه أرحمُ وأجلُّ من كلِّ تلك الصور التي تتراءى في عقلك وفكرك.

• يقول تعالـــى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

- أَعِدْ قراءةَ الآية، تأمَّلْها، املأ مشاعرَك منها، اقرأ هذا النَّصَّ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ للذين كفــروا بالله تعالى، وصدُّوا عن طريقــه ومنهجه ودعوته، ورفضــوا أن يُقِرُّوا بألوهيته فضلاً عن عبادته، وتجرَّؤوا على مقامه في صور كثيرة ومتعددة، وهو تعالى يُمهلهم، ويمنحهم الفرصة تلوَ الأخرى، ولا يعجل عليهم وهم مستمرُّون في الطَّريق إلى كلِّ سوء.

هو الَّذي خلقهــم، وهو الَّذي يُطعمهم، ويَســقيهم، ويُعينهم علــى أحوالهم، ويُجري لهم كلَّ شــيء، وهم



كَفَـرةٌ بمنهجـه، وعُصـاة لـه، ولا يُقِرُّون له بشـيء، ويُخَطِّطون لمحاربة دينه، ويعبثون بكلِّ تلك النعم التي منَّ الله تعالـى بها عليهـم، وهـو يراهم ويمـدُّ لهم، ولا يعجـل فـي عقوبتهـم، ولا يأخذهم بباكـر تلك الأخطاء، بل يُخبرهم تعالى ويقول لهم، ويكرِّر عليهم، ويضع هذا منهجاً: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾..

- **بمجرد عودتكم سـينتهي كل ما سـلف**، ويصبح لا قيمة له في شيء، ولا قيمة لكلِّ تلك الأوزار، وليست محسـوبة عليكم في شـيء، وتعودون مواليدَ جُدُدَ في ساحات الإيمان ومساحات الحياة: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾.

- قرارٌ واحدٌ، وفي لحظة ومساحة من الزمان والمكان، كفيلٌ بمسـح كلِّ تلـك الخطايـا والأوزار، والسَّـيِّئات والـزَّلَّات، ثم تعـودون للحياة مـن جديد: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾.

- **إنَّ هذه الصورةَ كافيةٌ في عرض صُوَر الجمال والبهجة والفرح إلى أقصى مدى، وداعية للطمأنينة والرَّاحة والاستقرار، ودافعةٌ للحبِّ في كلِّ صُوَره ومعانيه ومساحاته الكبرى.**






تكفــرُ وتَطْغَى وتعبــث، وتفصلُ دنياك عــن غاياتك الكبرى، وتســتلذُّ كما تريد، ولا تُبالي بمنهجٍ ولا عقيدةٍ ولا مقامٍ لربِّك، وهو يُعافيك، ويُطعمك ويَسقيك، ويسترك ويمدُّك بكلِّ شيء، ويضع لك مسافة كافية لعلك تعود من جديد، ويجري عليك نعيم الدارين.

لله ما أعذبَ الحياةَ! وما أروعَ صورها برحمة الله تعالى!

• **ينقلك القرآنُ إلى صورة أخرى،** إلى صورة من عبث الخلق بالمنهج، وفوضويتهم في الحياة، وخطئهم في حقِّ ربِّهم وأنفســهم والعالم مــن حولهم، قــوم لا يُخطئون فحســب، وإنَّما يتعمَّدون الخطأ، ويُسرفون فيه، ويصلون فيه إلى حدِّ العلانية! وربُّهم يراهم في كلِّ ذلك، ويمدُّ في أعمارهــم، ويُعافيهــم، ويُطعمهم ويَســقيهم، ويَهَبُ لهم ما يشــاؤون، ويقول لهم في الخواتيم: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

- **الحقيقة الأولى** التي يجب ألَّا تغيب عنك: هي هذه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

- **والحقيقة الثانية:** هي: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.





وأدعك لتبقى زمناً بيـــن الحقيقتين، ولعلك تدرك من هو ربُّك! وكيف تعيد له حقائق الأشياء!!

• **هل تخيَّلـــتَ يوماً من حياتك (مشـــركاً بالله تعالى، وقاتلاً، وزانيـــاً)؛ يعبثون بمنهج الله تعالى**، ويســـعون في شهواتهم، ولم يتأدَّبوا مع الله تعالى، فضلاً عن أن يقوموا له بحـــقٍّ! يأكلون ويشـــربون، وينامون ويســـتيقظون، ثم لا علاقة لهـــم إلَّا بالاعتداء على منهـــج الله تعالى، وبث الفوضى، وترويـــع الآمنين، وخيانة الأعـــراض في تلك المســـاحات التي يعيشـــون فيها... **ماذا لو قيل لك: تَوَلَّ الحكمَ فيهم**؟!

- كيف لـــو خُيِّل لك أنك تعيش فـــي مجتمع، وترى تصرفات هؤلاء في تلك المساحات، ثم أحيل لك الحكم عليهم وردعهـــم عمَّا يقعون فيه؟! حدِّثْني عن شـــعورك، وحدِّثني في المقابل عن العقوبات الرَّادعة التي ستســـنُّها عليهم حين ذلك، وسأدعك تأخذ قرارك كما تشاء..

- **الآنَ ســـأعرضُ عليك تعامُلَ ربِّك تعالى مع هؤلاء، من خلال آية من كتابه تعالى:**



يقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ



أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ [الفرقان ٦٨ ـ ٧٠]..

ثم أَعِدْ قراءة هذا المعنى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ مراراً.. لعلك تأخذ منه حظّاً وافياً بمشاعرك قبل عقلك وفكرك!

يخبرك اللهُ تعالى: أنه إذا تاب المشركُ، وأناب القاتلُ، وعاد الزاني؛ فلا يتوب الله تعالى عليهم ويقبلهم فحسب، بل يبني لهم تعالى آمالاً عِراضاً من تلك الخطايا والسيئات، والكبائر والموبقات، فيجعلها حسنات، ويكاثر بها الموازين في تلك الأيام، ولن تدرك ثقل هذا المعنى في ميزان الحسنات حتى تعرف سيِّئات الشرك، وأثقال القتل، وخطايا الزناة؛ **لتقف على عظيم رحمة الله تعالى**.

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *



٢

بُكاءُ الأنبياء

• **هل تخيَّلْتَ نبيَّكَ ﷺ يبكي؟!**

- ماذا لو أنَّك يوماً مــن أيامك، وفي طريق أحلامك، وإذا بنبيِّك ﷺ على حافة الطَّريق، أو في زاوية البيت، أو في أثناء لقاء؛ يبكي بين يديك، وعلى مرأى من عينيك، ثم تأخذك اللَّحظةُ إليه، وتقف بيــن يديه، وتقلِّب وجهه، وتمسح دمعه، وتسألُ مُشْفِقاً: ما الذي أجرى دمعه وألقى به في تلك اللحظة القاسية من الزمان؟!

وبعد ســؤال ونقاش تخفُّ تلك العبرات، وتهدأ تلك الرُّوح، ويخبرك أنه **يبكي خوفاً عليك من العذاب، وشفقةً بأمته أن ينالها ما يسوء في مواقف الآخرة.**

- **ماذا لو قلتُ لك: صِفْ لي مشــاعرَك، حدِّثني عن حبِّك لهذا النَّبيِّ؟** قل لي: ما الذي تجد في قلبك له؟ وما الذي تشهده روحك من جلال ذلك الموقف الآسر إلى أقصى مدى؟



• في «صحيح مســلم» [٢٠٢]: من حديــث عبدِ الله بن عمرِو بــن العــاص: أنَّ النبيَّ ﷺ تلا قــولَ الله تعالى في



إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: «**اللَّهمَّ، أُمَّتي، أُمَّتي**» وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريلُ، اذهبْ إلى محمد - وربُّك أعلم - فَسَلْه ما يُبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فَسَأله، فأخبره رسولُ الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله: **يا جبريلُ، اذهبْ إلى محمَّدٍ، فقلْ: إنَّا سَنُرضِيكَ في أُمَّتك ولا نَسُوءُك.**

- سأسألك: كم رواية قرأتَ في الحبِّ؟ كم هي قصصُ الأشواق التي استدار بصرُك في صفحاتها؟ حَدِّثني عن مواقف الجمال في حياتك، ومساحات الروح..

وبعد أن تنتهي من كلِّ تلك المعاني، تعالَ معي لهدأة اللَّيل، ونبيُّك ﷺ يتلو كتاب ربِّه ويبكي، وتُشجيه العَبَرات.. ثمَّ يأتي سؤالُ الله تعالى - وهو أعلم - ويبعثُ جبريلَ عليه السلام من السَّماء إلى الأرض، ويسأله، ثم إذا به يسمع منه ذلك المعنى الكبير، وتلك الأشواق: «**اللَّهمَّ، أُمَّتي، أُمَّتي**» وبكى.



- هل انتهتِ القصَّةُ؟ هل اكتملتْ فصولُها؟ هل توقَّف ذلك المشهدُ بمجرد مسح دموعه ﷺ؟ كلا!



ينزلُ جبريل من السَّــماء إلى محمد ﷺ، ويُجْري معه تلك المقابلة، وذلك السـؤال الكبيــر: ما الذي يبكيك؟ ويخبــره ﷺ أنه لا يبكي لنفســه، ولا يتدفَّــق دمعُه رغبةً لشخصه، وإنَّما يبكي لأُمَّته، يريد لها أن تَسْلَمَ من العذاب، وتقفَ في مواقــفِ التكريم، وتنالَهــا الرَّحَماتُ، وتجري عليها فصولُ الربيع فحسب «**أُمَّتي، أُمَّتي**»..

ويعود جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد هــذه الرحلة إلى ربِّه، ويبلغ ربَّه، وربُّه أعلم بمــا في قلب ذلك النبــيِّ ﷺ من الودِّ والحبِّ، والجلال والجمال، يبكي فقط على أُمَّته، ويريد رحمتها! ويأتي الجواب الكبيــر: **يا جبريلُ، اذهبْ إلى محمَّدٍ، فقلْ: إنَّا سَنُرضِيكَ في أُمَّتك ولا نَسُوءُك**.. وهل كان ﷺ ينتظر أعظم من هذا الجواب؟!

- ماذا لو قلت لك: حَدِّثْني عن نبيٍّ يبكي، وتحبســه لحظاتُ الخــوف والوجَل علــى أُمَّته، وهو قــد غُفر له ما تقدَّم وما تأخَّر من ذنبه؟!

حَدِّثْنــي عــن مشــاعر الوَجــد، ومشــاهد الرَّحمة، ومساحات القلوب الكبيرة لنبيٍّ يتدفَّق دمعُه زمناً طويلاً، لا لشيء يتعلَّق به، وإنَّما لحظوظ أُمَّته ألَّا يراها في مواقع المجد!







المسألةُ ليســـت طلباً وعرضاً وترجِّياً لتلك الأمة، وإنَّما سؤالٌ مُلِحٌّ يصلُ لدرجة البكاء، ويخبرك عن عيش هذا النبيِّ الكريم ﷺ لك ولأمتـــك.. ثم ما النِّهايـــات؟.. **يا جبريلُ، اذهبْ إلى محمَّدٍ، فقلْ: إنَّا سَنُرضِيكَ في أُمَّتك ولا نَسُوءُك.**

- **يمكنك أن تعرف في النِّهاية أنَّكَ مـــن أُمَّةٍ وَعَدَ اللهُ تعالى أنه سَـــيُرضي نبيَّه ﷺ فيها ولا يسوءُه!** أمةٍ مرحومةٍ بفضل هذا القلب الكبير لنبيِّها ﷺ، نبيٌّ ظلَّ يسأل ويدعو، ويرجو ربَّه ويبكي في ســـبيل نجاتها، حتَّى منَّ اللهُ تعالى عليه بتلك النهايات: **يا جبريـــلُ، اذهبْ إلى محمَّدٍ، فقلْ: إنَّا سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ ولا نَسُوءُكَ.**

- وإذا كان هذا رسولك ﷺ، وهذه أمانيه، ويبكي زمناً من أجلك، وأَلَحَّ على ربِّه في نجاتك، ويأتيه ويأتيك هذا الوعـــد الكبيـــر: **يا جبريلُ اذهبْ إلـــى محمَّدٍ، فقـــلْ: إنَّا سَنُرضِيكَ في أُمَّتك ولا نَسُوءُك..** فما تنتظر غير الأفراح!

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!







﴿ ٣ ﴾

مشاهدُ الرَّحمة

• **هل تعرف شيئاً من تاريخ فرعون؟ هل قرأتَ فصولاً** من إنكارِهِ لربوبية الله تعالى، وطلبه من هامان أن يبني له صرحاً ليرى حقيقةَ الإلٰه؟ هل مرَّتْ بك سيرةٌ ذاتيةٌ كسيرة هذا الجاحد لربوبية الله تعالى والناكر لها؟

إنني أجزم أنَّك مجرَّد أن تذكر اسم فرعون في زمانك لأيِّ إنسان سَوِيٍّ، فإنَّه سَـيُمْطِره باللعن دون تردُّد؛ لتلك السِّـيرة التي ملأها تكبُّراً وتجبُّراً، ونُكراناً وعِناداً، حتَّى لقي الله تعالى على تلك الكبائر والموبقات.

• **وفـي المقابل سـأوقفك على حديـثٍ يحكي لك** صورة، ويُطِلُّ بك على نافذة، ويفتح لك باباً مشرعاً على رحمة الله تعالى، ويوقفك على مشـاهد الجلال والجمال عن سعة حلم الله تعالى، وكمال عفوه ورحمته.



في «سنن الترمذي» [٣١٠٧]: من حديث ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما: أَنَّ النبيَّ ﷺ قـال: «**لمَّا أغرقَ اللهُ فرعونَ، قـال: آمنتُ أنَّه**



لا إلٰـه إلَّا الذي آمنـتْ به بنو إسْـرائيلَ، فقـال جِبريلُ: يا محمَّدُ، لَوْ رَأَيْتَني وأنا آخُذُ من حَالِ البحرِ فَأَدُسُّـهُ في فيهِ، مخافةَ أن تُدْرِكَه الرَّحمةُ».

- تخيَّل هذا المشهدَ لأعظم مَلَكٍ من ملائكة الله تعالى، وأقرب النـاس إلى ربِّـه تعالى، وهـو المَلَـك المُوكَلُ بالوحي: (جبريل)، مع رأس الطُّغيـان والضَّلال، والكفر والانحراف في زمانـه، الرجل الذي نـازع اللهَ تعالى في مُلْكه وسُـلطانه، والـذي قال علـى مرأىً ومشـهدٍ من العالمين: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]!

وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨].

وقال: ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف]!

- رجل عاش حربـاً علـى الله تعالى، وعـدوّاً لدوداً لمنهجه، وخصمـاً لأوليائه، وبذل في سـبيل تقرير مُلْكه وسـلطانه كلَّ شـيء، ولم يردعه خـوفٌ من ربِّـه تبارك وتعالى، وربُّك تعالى يمهله، ويدعه يفعل ما يشاء، ويبسط له في العمر، ويُهيِّئ له كلَّ السُّـبُل، ويدع له كلَّ الفرص، ولكنه أبى إلَّا أن يردَّ تلك النهايات التي حكاها القرآن في بيان خواتيم السوء له.



- ثم تَحِين نهاياتُ السُّــوء على فرعون، دخل البحر بعدما فلقه الله تعالى لموســى، رغبةً في اللَّحاق بموسى، فأطبــق الله تعالى عليه البحر.. ويحضــر جبريل عليه السلام هذا المشهد، ويجري هذا الحدث في تلك اللَّحظة، قال فرعون أثنــاء الغرق: «**آمنــتُ أنَّه لا إلٰــه إلَّا الذي آمنــتْ به بنو إسرائيل، فقال جِبريلُ: يا محمَّدُ، لَوْ رأيتَني وأنا آخُذُ من حَالِ البحرِ فَأَدُسُّه في فيهِ، مخافةَ أن تُدْرِكَه الرَّحمةُ**».

- **خشيةَ أن تدركَهُ رحمةُ الله تعالى!**

- لعلَّك ســألتَ نفسَــكَ: لماذا عاجلــه جبريلُ عليه السلام بذلك؟ لماذا حرص على أن يأخذَ من حَالِ البحر ويدسَّه في فمِهِ؟ كلُّ ذلك لعلمه وكمال يقينــه بعظيم رحمة ربِّه تعالى، وأنَّها قد تُدرِكُه فيغفر له، فكان يعاجل له ذلك قبل حدوثه، وإنمــا فعل هذا لقُربــه من ربِّه تبــارك وتعالى، واطِّلاعه على مشــاهد رحمته وعفوه، ومعرفته بمشــاهد الصَّفح والغُفران لديه جل جلاله!

- فكيف بالله عليك بمؤمنٍ أقبــل على ربِّه كلَّ زمانه، وصنع في الطَّريق كلَّ ما يُبلغه هذا المعنى الكبير من ربِّه، وتعثَّر يوماً في الطَّريق، أو وقع في شــيءٍ لا يُرضي ربَّه، وما كان له أن يفعل ذلك لولا غلبةُ شَهَواته التي عاد منها





مباشــرةً إلى ربِّــه تائباً، نادماً، مســتعتباً، راجيــاً الصَّفحَ والغُفران؟!

• **مثل هذا أو قريباً منه ما قصَّه الله تعالى في كتابه في سورة البروج؛** حيث عرض لأصحاب الأخدود، وكيف أنَّ ذلك الملك ومن معه حفروا تلك الأخاديد، وأوقدوا فيها النِّيرانَ، ثم دفعوا بالمؤمنين فيها، وأضرموا عليهم النِّيرانَ! وذكر الله تعالــى أن ما دعاهم إلى ذلك هــو إيمانهم بالله تعالى، وقيامهم بحقــه: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

ومع كلِّ ذلك يعرضُ الله تعالى عليهم التوبة، ويُوقِف ذلك على فوات هذا المعنــى الكبير، فيقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

ولو أنَّك أعدت قراءة هذا المعنى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ ألف مرة ما شبعت من هذا الاستثناء!

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!





٤

فَغَفَرَ لـه

• ماذا لو قيل لك: إنَّ فلاناً قَتَل نفســـه، وأَضْرم عليها النِّيرانَ وأحرقها، فراراً من لِقَاء الله تعالى؟!

ماذا لو حَدَّثَكَ أحدُ الخَلْق بأن فلاناً ألقى بنفســـه من شـــاهق، أو أودعها البحر، أو صنع فيها ما يُغَيِّب معالِمَها حتَّى لا يلقاه الله تعالى فَيُجْرِي عليه حسابَه وعذابَه؟!

• قصَّ علينا نبيُّ الله ﷺ قصةَ ذلك الرجل الذي صنع ذلك، وألقى بنفســـه في ذلك الحال، ففي «الصحيحين» [البخاري: ٣٤٨١، ومسلم: ٢٧٥٦]: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «**كان رجلٌ يُسْرِفُ على نفسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الموتُ، قالَ لِبَنِيه: إذا أنا متُّ فأحْرِقوني، ثم اطْحَنوني، ثم ذرُّوني في الرِّيح، فوالله لَئِنْ قَـدَرَ الله عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عذاباً ما عذَّبه أحداً، فلمَّا ماتَ فُعِل بـه ذلك، فَأَمَرَ اللهُ الأرضَ، فقال: اجْمَعـي ما فيك منه، ففعلتْ، فإذا هـو قائمٌ، فقال: مَا حَمَلَكَ على ما صنعتَ؟ قال: خشيتُك يا ربِّ، أو قال: مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ اللهُ تَعالى لَه**».







ـ لقد عاش ضالّاً مُسْرِفاً بعيداً عن الله تعالى، صادّاً عن طريقه ومنهجه، رافضاً لكلِّ ما يُقرِّبه إلى الله تعالى، عمره كلَّه! ليس زمناً محــدوداً من ذلك العمر، أو فترة من تلك الحياة، أو أوائل من رحلته في الدُّنيــا ثم فاء، وإنَّما بقي كذلك حتَّى لقي الله تعالى!

تخيَّلْ أنه مع شــروده عن ربِّه تبارك وتعالى، وخروجه عن طاعته، وبُعده عن منهجه، وإصــراره على البقاء على هذه الحال؛ أتــمَّ كلَّ ذلك بتلك الوصيــة لأولاده، وكتب فيها: أنَّه إذا مات فليحرقــوه ويَذُرُّوه، حتَّــى لا يُعْثَر عليه فيجري عليه الحساب والعقاب.

لقد مات الرجل، ونفَّذ أبنــاؤه تلك الوصية، أحرقوه، وذَرُّوه مع الهواء، وذهب أجزاء غير متصلة، وأصبح هباء في صحــارى الأرض.. ثم مــاذا؟ أعــاده الله تعالى حيّاً، وأوقفه بين يديه، وسأله ذلك الســؤال الكبير: «**ما حَمَلَكَ على ما صنعت؟**» فأجاب كذلــك بجواب كبير، حين قال «**خشيتُك يا ربِّ**» أو قال: «**مخافَتُك**».. فماذا كان الجزاء؟ «**فغفرَ اللهُ تعالى له**».

فيا لِرحمــةِ الله تعالى! ويا لِســعةِ حلمــه! ويا لِعظيم عفوه!





- **إنَّ اعترافَــه بذنبه، وإقــرارَه بعظمة ربِّــه، وإيمانَه بِقُدْرته، ويقينَه بأنَّه ســيعذِّبه عذاباً عظيمــاً؛ كان كفيلاً بِمَحْو كلِّ تلك الصُّورِ التي صنعها في ماضيه**، وكتبها في تاريخه، وسوَّدَ بها صفحاته في زمان حياته!

- **إذا كان ربُّك سبحانه وتعالى بمثل هذا المعنى الكبير**، ورحمتُه وعفــوُه وصفحه أجلَّ وأعظــمَ وأكبرَ مــن ركام أخطائك وضلالك وســوءاتك كلِّها، **فما تتوقَّــع حين تصدق معه، وتُقبــل عليه**، وتبذل في ســبيله، وتحاول أن تســعى في مراضيه؟! ماذا تتوقَّع لقلبٍ أحبَّه، وسعى إليه، وجهد في الطَّريق للوصول إلى تلك الأماني الكبار؟!

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *





٥

فقبضَتْه ملائكةُ الرَّحمة

• ماذا لو قيل لك: إنَّ فلاناً من الناس عاشَ عاصياً، مسرِفاً، متمرِّداً على منهج الله تعالى؟

ماذا لو جاءك إنسانٌ ويدُه مضرَّجةٌ بالدِّماء، وأخبرك بأنَّه قد سفك بها مئةَ رقبة، ورمى بها في عرض الطريق؟

تعالَ معي في هذه المساحة لأروي لك قصَّةَ رجلٍ صنع كلَّ سوء، وقتل مجتمعاً بأسره، وأباد أمماً من الأرض، وليس لديه من الصَّالحات سوى نيةٍ تجوب في قلبه تبحث عن الخلاص، وما زالت بقايا يده تقطر من دماء الأبرياء، **ثم أجرى الله تعالى له الحياة.**

• في «الصَّحيحَيْن» [البخاري: ٣٤٧٠، ومسلم: ٢٧٦٦]: من حديث أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: **«كانَ فِيمَنْ كان قبلَكم رجلٌ قَتَلَ تسعةً وتسعينَ نَفْساً، فسألَ عن أعْلَمِ أهل الأرض، فدُلَّ على راهبٍ، فأتاه فقال: إنَّه قتل تسعةً وتسعينَ نَفْساً، فهل له من توبةٍ؟ فقال: لا، فقتلَه**





فكمَّل به مئةً، ثم ســأَلَ عن أعْلَمِ أهلِ الأرض، فدُلَّ على رجلٍ عالِمٍ، فقال: إنَّــه قتلَ مئةَ نَفْسٍ، فهــل له من توبةٍ؟ فقال: نَعَمْ، ومَنْ يَحُــول بينَه وبين التَّوبــةِ؟! انْطَلِقْ إلى أرض كذا وكذا، فإنَّ بها أُناســاً يَعبدون الله تعالى، فاعبدِ اللهَ معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنَّها أرضُ سوء، فانطلقَ حتَّى إذا نصفَ الطريقَ أتاه الموتُ، فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرَّحمةِ، وملائكةُ العذاب، فقالت ملائكةُ الرَّحمةِ: جاء تائباً مُقْبلاً إلى الله تعالى، وقالت ملائكةُ العذابِ: إنَّه لم يعملْ خيراً قَطُّ، فأتاهــم مَلَكٌ في صورةِ آدَمِــيٍّ، فجعلُوهُ بينهم ـ أي: حَكَماً ـ فقال: قِيسُــوا ما بين الأرضَيْنِ، فإلى أيَّتِهِما كانَ أدنَى فهو له، فقاسُــوا فَوَجَدُوه أدنَى إلى الأرضِ الَّتي أرادَ، فَقَبَضَتْهُ ملائكةُ الرَّحمة».

هل تخيَّلْتَ الموقفَ؟ هل تصوَّرتَه بقلبك ومشاعرك؟ رجل يقــف أمــام عالِمٍ ويســألُه ويــدُه تقطر مــن دماء المســلمين، يســأله وقد صنع مقابر جديدة لدفن أولئك الموتى، يُناقشه في التَّوبة وقد تخلَّص من مجتمع وألقى بهم إلى الموت، يُراجعــه ولم يكن الفارقُ بينه وبين آخر جريمةٍ إلَّا لحظات!



كان هـــذا العالِمُ يعـــرف ربَّه تعالى، ويُـــدرك عظيم رحمته، ويعلـــم أن النِّيَّةَ الصَّادقة تصنـــع واقعاً، وتكتب حظوظاً للحيـــاة! كان يعـــرف الله تعالى حـــقَّ المعرفة، ولذلك كان الجوابُ دواءً للجِراح، وشفاء للعيِّ، وبلسماً للقلـــوبِ المَكْلومة في عـــرض الطريـــق، فأجابه بنعم، وأوصاه أن يتحرَّك للبحث عن مقادير الله تعالى الممتعة، ويفتِّش عن جماليَّات الكون المدهشة، وهنا بدأت حياة ذلك الرجل.

انطلقَ وليس في قلبه ســـوى الله، قرَّر أن يترك مكانَه، ولم يلتفتْ إلى شـــيءٍ من ذلك، وأقبل باحثـــاً عن النُّور والهُدى والحياة، ولكنَّ أَجَـــلَ الله تعالى كان أعجلَ عليه من غيره، فألقاه صريعاً بين الأرضَيْنِ، الأرض التي تركها وودَّعها وخرج منها، والأرض التي اســـتقبلها وهو عازمٌ على بلوغ أمانيه منها، ثم ماذا؟

ثم تَلقَّـــاه اللهُ تعالى برحمته، وعفوه، وســـعة حلمه، فَقَبِلَهُ لمجرَّد نيته، وألقى بتلـــك الأَثْقالِ كُلِّها عن كاهله وكأنَّها لا شيء.

يا الله! هل تخيَّلْـــتَ يوماً أن نيةً مصحوبـــةً بخطواتٍ للإصلاح، تهـــدم قَتْلَ مجتمعات! وتُصلـــح واقعاً مُخَضَّباً





بالدِّماء زمناً من العمر! وتُلقـي بالخطايا والموبقات في عرض الطَّريق؟!

• **ولو أنَّك قـرأتَ النهايات التي جاءت في الحديث؛ لأدركتَ عظيم رحمة الله تعالى، وسعة حلمه وعفوه؛ ففي** رواية فـي «الصَّحيح»: **«فأوحـى اللهُ تعالى إلـى هذه: أَنْ تباعدي، وإلى هذه: أَنْ تقاربي، فقاسـوا ما بين الأرضَيْنِ فوجدوه إلى هذه أقرب بشبرٍ فغفر له».**

وفي رواية: **«فَنَأَى بِصَدره إلى الأرض الطَّيِّبَة قيدَ شِبْرٍ، فكان من أهـل الأرض الصَّالحـة، وكتـبَ الله تعالى له الجِنانَ».**

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *





٦

حَرَّمه اللّٰهُ على النَّار

• **هل عصيتَ الله يوماً؟** كم مرَّة دعاك ربُّك وأنت في عِداد المتخلِّفين؟! كم هـي المرَّات التي تخيَّلْتَ ذنوبَك، وتعاظمتَ أمرَك، وأَلْقَى الشـيطانُ في قلبك يأساً طويلاً، وأقعدك عن أماني الحياة؟!

ماذا لو قيل لك: تخيَّلْ نفسَـكَ إنساناً صنع كلَّ سوء، وفعل كلَّ قبيـح، وأقبل على السَّـيِّئات، وأعرض عن الله تعالى؟!

كم هي المـرات التي أسـأنا فيها الظَّنَّ بـالله تعالى! وحجَّرنا على رحمته! وبقينا في ظنوننا تلك زمناً طويلاً!

• في «صحيح مسلم» [٩٣]: من حديث جابرٍ، قالَ ﷺ: **«مَنْ ماتَ لا يشركُ بالله شيئاً، دَخَلَ الجنَّةَ».**

- وفي «الصَّحيحين» [البخاري: ١٢٨، ومسلم: ٣٢]: من حديث معاذٍ رضي الله عنه، قـالَ ﷺ: **«ما مِنْ عبدٍ يشـهدُ أنْ لَا إلٰه إلَّا الله،**





وأنَّ محمداً عبدُه ورســولُه، صِدْقاً من قلبه، إلَّا حَرَّمه الله على النَّار».

- وفي «صحيح مســلم» [٢٧]: من حديث أبي هُريرة، وأبي سعيدٍ رضي الله عنهما: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**أشهد أنْ لَا إِلٰه إلَّا الله، وأنِّي رَسُولُ الله، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ، فَيُحْجَبُ عنِ الجَنَّةِ**».

- وفي «الصَّحيحَيْــنِ» [البخــاري: ٤٢٥، ومســلم: ٦٥٧]: من حديث عِتْبَانَ، قال ﷺ: «**فإنَّ اللهَ حَــرَّم على النَّار من قالَ: لا إِلٰه إلَّا الله، يبتغي بذلكَ وَجْهَ الله**».

- تُذَكِّرني هذه الأحاديــثُ بذلك المعنى الذي ذكَّر به رســولُ الله ﷺ يوماً، كما في «صحيح مســلم» [٢٦٢١]: من حديث جُنْدَبِ بن عبد الله رضي الله عنه: أنَّ رســولَ الله ﷺ حَدَّثَ: «**أنَّ رَجُلاً قال: وَالله، لا يغفرُ اللهُ لِفُلانٍ، وأنَّ الله تعالى قالَ: مَنْ ذَا الَّذي يــتألَّى عَلَيَّ أَلَّا أغفرَ لِفُلانٍ، فإنِّي قد غفرتُ لِفُلانٍ، وأحْبَطْتُ عَمَلَكَ**».

وأبانَ فيه أنَّ رحمةَ الله تعالى أَجَلُّ ألفَ مرَّةٍ من ظنوننا البائسة، ومســاحاتنا الضَّيِّقة، وآرائنا الَّتي لا تعرف سوى الضِّيق!



- تعالَ معي إلى هذا المعنى الكبير: «**مَنْ ماتَ لا يُشرك بالله شيئاً، دَخَلَ الجَنَّةَ**»: لا يشرك بالله تعالى شيئاً.. الشِّركُ هو السببُ الكبير والوحيد الَّذي يمنع من دخولِ الجِنان، وما عدا ذلك من المعاصي والأخطاء والعَثَرات؛ كلُّها مجتمعةً لا تمنع من أعظم أمنية في الحياةِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

- ماذا لو قِيل لك: اقرأ هذا النَّصَّ بقلبك ومشاعرك: «**ما مِنْ عبدٍ يشهدُ أنْ لَا إلٰه إلَّا الله، وأنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صِدقاً من قَلْبه، إلَّا حَرَّمه اللهُ على النَّار**» وتأمَّلْه بمشاعرك، وأَلْقِ فيه بروحك، واللهِ ثلاثاً ستلقى من خلاله الحياة، يا لجلال هذا النَّصِّ! ويا لروعةِ هذا المعنى! ويا لخاتمة هذا الحَدَث «**إلَّا حرَّمه اللهُ على النَّار**»!

بالله عليك، أيُّ معنى تنتظر من الدُّنيا كلِّها إذا تحقَّق لك: «**إلَّا حَرَّمه اللهُ على النَّار**»؟! ماذا تريد من الحياة بعد ذلك؟! حدثني: هل تعرف أمنية أثمن من هذه الأمنية؟!

- دعك ممَّا مضى: كيف لو قيل لك: اقرأ هذا الخبرَ من نبيِّك ﷺ: «**أشهد أنْ لَا إلٰه إلَّا الله، وأنِّي رسولُ الله، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ، فَيُحْجَبُ عن الجَنَّةِ**».





حين يُوقن قلبُك، وينطق لسانُك، وتستسلم جوارحُك لله تعالى؛ فأنت من أهل الجِنــان، وإن تأخَّر وصولُك، أو طالت مسافتُك، أو زاد زمان لقائك بتلك النِّهاياتِ السَّعيدةِ التي تنتظرك.

- بقي أن أقول لك: هذا الحديث: «**ما مِنْ عبدٍ يشــهدُ أنْ لَا إلٰه إلَّا الله، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه، صِدقاً من قلبه، إلَّا حَرَّمه اللهُ علــى النَّار**».. يُذكِّرك بذلــك المعنى الكبير «**صدقاً من قلبِــه**»! ومن أجــرى هذه الشــهادة على هذا المعنى؛ أقام لله تعالى حقَّــه، وأولُ ذلك، وآخرُه، وصلبُه، وعمودُه، وذروةُ سنامه: (الصَّلاة)؛ لقوله ﷺ: «**العهدُ الَّذي بيننا وبينهم الصَّلاةُ، فمن تركها فقد كَفَر**» [رواه أحمد: ٣٤٦/٥، والترمذي: ٢٦٢١]!

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *





٧

قَدْ غُفِر لك!

• في «الصَّحيحين» [البخاري: ٦٨٢٣، ومسلم: ٢٧٦٤]: من حديث أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه، قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، أصبتُ حَدّاً فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قال: وحضرتِ الصَّلاةُ، فَصَلَّى مع رسولِ الله ﷺ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ، قال: يا رسولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدّاً، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللهِ، قال: «**هل حَضَرْتَ معنا الصَّلاةَ؟**» قال: نعم، قال: «**قد غُفِر لَكَ**».

وقع في خطأ، وليس خطأً عارضاً، بل تدنَّس في كبيرة، ووقع في عظيم، وقارف إثماً يستحقُّ حدّاً، ولكنه في المقابل شعر بتهشُّم روحِه، وبَلِيَتْ مشاعرُه، ولَقِي سقمه، وذاق بعض مشاهد عذاب الرُّوح العاجل، وأقبل يستحثُّ الخُطَا إلى رسولِ الله ﷺ، ويبحثُ عن النَّجاة.

تخيَّلْ عاصياً تدنَّس بمعصيته، وتلطَّخ بخطيئته، وأمَضَّهُ ألمُها، وداهم الشَّقاءُ مشاعِرَه، واصطلت روحُه بالنَّدم، وأقبل يبحث عن الحلول، ثم جاء إلى





رسـول الله ﷺ يبحث عن الخلاص، وكان لا يتصوَّر غيرَ الحدود التي يصطلي بها جسده حتى يخلِّص مشاعرَه من تلك الآلام التـي تقتحم روحه، وتسـتلب قلبه، وتُدمي خاطره ومشاعره.

- تخيَّلْ أنَّك في مكتبٍ استشاري، أو تستقبل مكالمة تلفونية ممَّن يطلبُ استشـارةً، وتنتظر من يكون متعطِّشاً للجواب؛ كهـذا الـذي أقبل عليـك يسـألُك، وأخبرك بمشكلته، وأنه قارف حدّاً، ويدعوك جادّاً إلى إعانته على إقامة ذلك الحَدِّ؛ ليتخلَّص من ألمه الممضّ، وحين أخبرك بما وقع فيه إذا بـه كبيرةٌ مـن كبائر الذنـوب، وخطيئةٌ تستوجب حدّاً من حدود الله تعالى، وتستدعي القيام لها، والقضاء فيها بشـيء من تلك الأحكام المقرَّرة في شريعة الله تعالى؛ بماذا كنت تشير عليه؟ ماذا ستقول له؟

ولعلَّك قبل أن يأخذك التفكيرُ في الإجابة عن أسـئلة هذه الحالة المتدنسـة بخطأ كبير، تعود لقراءة هذا النصِّ المشـاعري، وتأخـذ حظّـاً مـن دراسـته وتأمُّلـه: قال يا رسـول الله، إنِّي أصبتُ حدّاً، فَأَقِمْ فـيَّ كتابَ الله، قال: «**هل حضرتَ معنا الصَّلاةَ؟**» قال: نعم، قال: «**قد غُفِرَ لكَ**»!



كان الجوابُ بلسماً شافياً كافياً: «**هل حضرتَ معنا الصَّلاةَ؟**» قال: نعم، قال: «**قد غُفِر لك**»!

• التَّائبون، والعائدون إلى الله تعالى، والمُقْبلون عليه، والمُذعِنون له، والمعترفون بأخطائهم، والراغبون في التخلُّص من آثار تلك الخطايا؛ تكفيهم تلك الصَّلاةُ لإنهاء ذلك التاريخ بكلِّ مشاهده وفصوله.

- **صلاتُك وإقبالُك على الله تعالى تصنعُ أحلامَك**، كما قال ﷺ: «**أرأيتم لَوْ أنَّ نهراً ببابِ أحدِكم، يغتسلُ منه كلَّ يومٍ خمسَ مرَّات، هل يبقى من دَرَنه شيءٌ؟**» قالوا: لا يَبْقى مِنْ دَرَنِهِ شيءٌ، قال: «**فذلكَ مَثَلُ الصَّلواتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بهنَّ الخَطَايا**». [رواه البخاري: ٥٢٨، ومسلم: ٦٦٧].

- إنَّ دِيناً يتعاملُ مع المُخطئين بمثل هذه الصُّور من الرَّحمة، ويمسح تلك الأخطاءَ بمثل هذه الطَّاعات، ويُنهي كلَّ أحداث الماضي بكلِّ صور عبثه وفوضويته بمجرَّد صلاةٍ واحدة؛ لهو دِينٌ يكفي للحياة!

- دعني أسألك: كم هي أخطاؤك في مقابل صلاتك الفريضة، ونافلتك، وصيامك، وعمرتك، وحجِّك،





وصدقاتك، وإحسـانك؟ كم هي سـيِّئاتُك وأخطاؤك في مقابل طاعتك لربِّك ومولاك؟ حين تحسب ذلك في يومٍ واحد، سـتُدْرِك أنَّك على الطَّريق الذي يُوصلك بإذن الله تعالى إلى أمانيك.

وإذا كانت الصَّـلاةُ كفيلةً بمسـح أخطائك وذنوبك ومعاصيك؛ فكيف بمواقف الطَّاعة فـي موازين الأعمال بين يدي الله تعالى يومَ القيامة؟!

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!







٨

حِين يُغْفَر للبَغايا

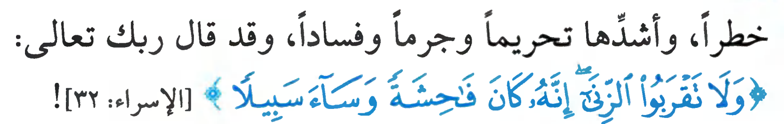
• **جَرَتْ سُـنَنُ الله تعالى على العدل**، وأن ثمَّة حقوقاً وواجبـات، وأن الجزاء من جنس العمـل، ومن فرَّج عن مسـلم كُرْبةً من كُرَب الدُّنيا فرَّج الله تعالى عنه كُرْبةً من كُرَب يوم القيامة.. ولـو أخذتْ صورُ العـدل حظَّها من الانتشـار، لكانت كافيةً في عرض هـذا الدِّين في أجمل صوره، وأبهج معانيه، فكيف لو جَرى عرضُ فصولِ رحمة الله تعالى، وحلمه وعفوه لعباده الصالحين؟!

هل تريـد أن تقف على نافـذةٍ لهذه الرحمـة، وبابٍ من أبواب الجمال في دينك، وحسابٍ مختلفٍ عن كلِّ حساباتك؟ إذاً تعالَ إلى هذه الصورة التي تتدفَّق بالجمال والبهجة:

• في «الصَّحيحَيْـن» [البخـاري: ٣٤٦٧، ومسـلم: ٢٢٤٥]: من حديث أبي هريـرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قـال: «**بينما كلبٌ يُطِيف بِرَكِيَّةٍ كادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغايا بَنِي إسرائيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَها فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَها بِهِ**».

ـ **هل تخيَّلتَ لُطْفَ الله تعالى**، وعظيم رحمته وإحسانه للعالمين فـي هذا الحديث: هـذه امرأةٌ بَغِـيٌّ (موغلة في الزنى)، وأنت أعرف أن هذه الفاحشـة من أعظم الفواحش



خطراً، وأشدِّها تحريماً وجرماً وفساداً، وقد قال ربك تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]!

وقرنه الله تعالى بالشرك به فقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨].

وأوجب على فاعله الجلدَ مئةَ جلدةٍ، وعلى المحصَنِ منهم القتلَ، وفي «صحيح البخاري» [٧٠٤٧]: في حديث الرُّؤيا التي رآها رسولُ الله ﷺ، لمَّا أتاه مَلَكان، قال ﷺ: «**فَأَتَيْنا على مِثْلِ التَّنُّورِ** - قال: فأحسب أنَّه كانَ يقولُ: - **فإذا فيه لَغَطٌ وأصواتٌ، قال: فاطَّلَعْنا فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ، وإذا هم يأتيهم لَهَبٌ من أسفلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللَّهَبُ ضَوْضَوا، قال: فقلتُ: ما هؤلاء؟ فقال: فأمَّا الرِّجالُ والنِّساءُ العُراةُ الَّذين في مثلِ بناءِ التَّنُّورِ، فَهُمُ الزُّناةُ والزَّواني**»..

ثم انظر في المقابل لهذا الحدث الذي جرى من البَغِيِّ، وتلك النهايات التي بلغتها رغم كلِّ ما هي فيه!

خرجتْ تسير في الطَّريق، وبينما هي كذلك، وجدتْ كلباً يطيف حول ركية (أي: بئر)، وقد بلغ به الظَّمأُ مبلغاً عظيماً، فقام الإيمان في قلبها، ودبَّتْ تلك الرَّحمةُ في مشاعرها، وبَدَتْ مظاهرُ الإحسان تأخذ حظَّها من واقعها، فما كان منها إلَّا أن تركتْ حاجتها، وتوقَّفتْ عن سَيْرِها وأقبلت على ذلك



الكلب لتسقيه، وتروي عطشه، وتمنحه الحياة، وحين لم تجد إناءً تسـقيه به من تلك البئر، أخذتْ خُفَّها وربطته بخمارها، ونزلت إلى البئـر، وما زالت تُفرغ على ذلـك الكلب حتى ارتوى، فتنزَّلتْ عليها رحمةُ الله تعالى، وغفر لها!

- لا يَفُتْكَ وأنت تقرأ هذا المشهد: أنَّه جرى مع أخبث حيوان في الشَّريعة، وأنجسها على الإطلاق، والإناء الذي ولغ فيه يُغسل سبعَ مرات إحداهنَّ بالتراب، وإذا كان في بيتك أخذَ من حظوظك وحسـناتك كلَّ يوم قيراطين من الأجر والثواب، ومع ذلك أجرى اللهُ تعالى لها بإحسـانها له أبهجَ مواقف الإحسـان، وألذَّ لحظات الحياة، وطوى عنها كلَّ صفحات الخِزي والعار، وأنزلها منازلَ الأبرار..

وقد قال الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: لئـن كانت الرحمةُ بالحيوانات تغفر ذنوبَ البغايا، فإنَّ الرحمة بالبَشَر تصنع العجائب. اهـ.

وإذا كان موقفُ إحسانٍ وشفقةٍ ورحمةٍ من بَغِيٍّ على مدار عمرها في الضَّلال ألقى بها للحياة، فما ظنك بعملك الصالح على مدى عمرك الطويل؟!





أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!



٩

يَدخلُ الجِنان ولم يعملْ خيراً

• قضى زمناً من عمره لا علاقة له بالخير في شـــيء، وبقي حيّاً لسنوات طويلة ولم يستثمر ذلك العمرَ في شيءٍ يســـتحقُّ الحياة، كان يعيش لِذَاته فحســـب، ولا يعرف ربّاً ولا دينـــاً ولا منهجاً، وبقـــي على ذلك زمنـــاً طويلاً... ثم أجرى الله تعالى له فصولاً من الرَّبيع والجمال في النهايات.

• في «الصَّحيحَيْنِ» و«ســـنن النســـائي» [البخاري: ٢٠٧٨، ومســـلم: ١٥٦٢، والنســـائي: ٤٦٩٨ واللفـــظ لـــه]: مـــن حديـــث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رســـولِ الله ﷺ، قال: «**إنَّ رَجُـــلاً لم يَعْمَلْ خيراً قَطُّ، وكان يُداينُ النَّاسَ فيقولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ ما تَيَسَّر، واتْرُكْ ما عَسُرَ، وتَجَاوَزْ لعلَّ اللهَ تعالى أنْ يتجاوزَ عنَّا، فلمَّا هَلَكَ قال اللهُ عز وجل له: هل عَمِلتَ خيراً قَطُّ؟ قال: لا، إلَّا أنَّه كان لي غلام، وكنـــتُ أُداينُ النَّاسَ، فـــإذا بَعَثْتُهُ يَتَقاضَى، قلتُ له: خُذْ ما تَيَسَّـــر، واتْرُكْ ما عَسُـــرَ، وتجاوَزْ لعلَّ اللهَ يتجاوَزُ عَنَّا، فقال الله تعالى: قد تجاوَزْتُ عنك**».



لم يعمل خيراً قط! ما كان لديه مـــن العمل ما يُنجيه من النَّار، فضلاً أن يدفع به إلى الجنان من أول وهلة.



كان مفلســاً إلَّا من التوحيد كما قال بعض أهل العلم، وبقي على هذا المعنى عمرَه كلَّه، لولا أنه فتح نافذة صغيرة جدّاً، فأطلَّتْ به على الحياة يوماً من أيام دهره وزمانه.

كان تاجــراً وما أكثــر التجــار في زمانك! وموســراً وما أكثر المُوسِــرين في أيامك! فأقبل على الله تعالى من تلك النافذة، فكان يُداين العالمين، ويُلقي في روع عامله بعضاً من معاني اللُّطف والرحمة، فيقول له: إذا ذهبت إلى أولئك فخذ ما جادوا به، واقبل ما جاءك أيّاً كان، ودَعْ كلَّ ما حالت دونه الظُّروف والأيام، وتمثَّــل أخلاق الأنبياء، وخُذْ ما تيسَّر، واترك ما عَسُــر، وتجاوز لعلَّ الله تعالى أن يتجاوز عنَّا أيام الحاجات! ومــن أقبل على الله تعالى من طريق، لقيه الله تعالى في كل طريق! رغم كلِّ تقصيره في العمل وتخلُّفه عن الحياة، إلَّا أنَّ الله تعالى قَبِله لمقام تلك الحسنة التي كان يعملها، وأجرى له بها أدهش النهايات، ولئن بقيتَ دهــرك تقرأ هذا المعنى: «**أنــا أحقُّ بالتجاوز منك**»، ما شبعتَ يوماً ولو طال بك الزمان.



• رغــم موازيــن العدل التــي تقوم على الحَسَــنات والسَّيِّئات، إلَّا أن هذه الحسنةَ كانت كلَّ شيء، وما ذلك إلَّا لأنَّ الله تعالى عظيــمٌ حليم، عفوٌّ غفــور، يثيب على



القليل، ويجازي على الصغير، ويصنع لعبده ما يجري له به الحياة في الدارين! فكيف بك وأنت صادقٌ في الطريق إليه، جادٌّ في تحقيق أمانيك، راغبٌ فيما عنده من الثَّواب، خائفٌ من غوائل السَّيِّئات؟!

- ماذا لو أنك استثمرتَ قيمةً واحدةً من قيم الحياة في بناء أحلامك في الطَّريق العظيم؟!

- ماذا لو أنــك ركَّزْتَ على نِعمةٍ واحــدةٍ من نِعم الله تعالى، وأَثْرَيْتَهــا بالتطبيقات التي تصنــع لك موقعاً بين يدي ربِّك في النهايات؟!

- ماذا لو أنَّك أحســنتَ الظَّنَّ بربِّك، وتاقتْ أشواقُك إليه، ورابطت على ما يصنع لك مستقبل الأيام؟!

ما أرحم ربَّك بك! وما أوســعَ عفــوَه! وما ألطفَه في التعامل مع المخطئين وأصحــاب الكبائر والأوزار، فضلاً عن المؤمنين المقبلين الطائعين في كلِّ حين وزمان.



أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!



* * *



١٠
مئةُ رحمةٍ وليستْ رحمةً واحدة

• كم هـي المرَّات التـي كنتَ في الطَّريـق العامِّ في سيارتك وأنت في كامل نعيمك، وترى واقفاً على الطَّريق تلظاه الشمسُ، وتُؤذيه الرمضاءُ، وتُصليه الحياةُ بهمومها، لم يجد من يُعينه على دفع تلك الأجواء!

كم هي المرات التي طاف بك من لا يجدُ عشاءَ ليلةٍ، ويبحث لأطفاله عن سترٍ يَقيهم الجوع! وكان تعاطفنا مع كلِّ تلك الصور بارداً وضعيفاً.

• فـي «صحيـح مسـلم» [٢٧٥٢]: من حديـث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال ﷺ: **«إنَّ لله مئةَ رحمةٍ، أنزلَ منها رحمةً واحدةً بيـن الجِنِّ والإِنْـسِ، والبَهائـمِ والهَـوَامِّ، فَبِها يتعاطفونَ، وبِها يتراحمونَ، وبِهـا تعطفُ الوحشُ على وَلَدِها، وأخَّرَ اللهُ تسعاً وتسـعينَ رحمةً، يرحمُ بِها عبادَهُ يومَ القيامةِ».**

وفي «صحيح البخـاري» [٦٤٦٩]: **«إنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحمةَ يومَ خَلَقَها مئةَ رحمةٍ، فأمسكَ عندَه تسعاً وتسعينَ رحمةً،**



وأَرْسَلَ في خَلْقِهِ كُلِّهِم رحمةً واحدةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكافرُ بكلِّ الَّذي عندَ اللهِ من الرَّحمةِ، لم يَيْئَسْ من الجَنَّةِ».

- لو أنك قلَّبتَ بصرك في مشاهد أمٍّ وهي ترعى طفلها؛ فتطعمه، وتسقيه، وتتودَّد إليه؛ فتضحك لضحكه، وتحزن لحزنه، وتشتاق لفقده، وتبكي لمرضه، وتعيش لوعات الفراق لسفره وبُعده؛ لرأيتَ مشاهد من الرحمة تفوقُ خيالَك!

- ولعلك ألقيتَ ببصرك ومشاعرك ليلةً واحدةً إلى مشاهد أمٍّ وقد مرض ابنها، وهي تصرف كلَّ ما تملك من المشاعر له في انتظار صحته وعافيته، فضلاً عن السَّهر والسفر والغربة والعناء والبكاء التي صاحبتها طيلة تلك الأيام، حتى عادتْ له صحتُه وعافيتُه وروحه، وانجلَى عنه سقمُه ومرضُه في النهايات!

- كيف لو أنك تأمَّلتَ أباً يُسافر ويلظى بمشاهد الغربة زمانَه كلَّه، ويعيش لأواءَ العيش، ويُكابدُ الزمان وظروف الحياة دهراً طويلاً من زمانه، حتَّى يَسْقِي أولاده وأهل بيته مشاهد الراحة والاستقرار! وأجزم أن عينك لن تخطئ ذلك الذي بقي في مشاهد تلك الغربة عمره كلَّه حتى لفظ أنفاسه وهو نائي الدار، من أجل أولئك الأبناء!



وما أكثرَ هذه الصُّورَ! وما أدهشَ مواطنَ الرَّحمةِ فيها!

- قُلْ مثــلَ ذلك في حيوانٍ يُلقي بولــدِه، فيحنو عليه فيســقيه بفطرته من لبنه، ويظلُّ بين يديه يرعاه ويعتني به ويدافع عنه، حتَّى يصبح قادراً علــى الحياة بمفرده، وهو حيوان بهيم لا يملك الإفصاح عمَّا يجري من مشاهد تلك الأبــوة والأمومة في واقعــه، ولكن الصُّــور أوضح لذي عينين من كل شيء.

• **لقد خلق الله تعالى مئة رحمة، وكلُّ تلك الصور التي أخذتْ حظَّها من قلبك ومشاعرك إنَّما هي جزءٌ واحدٌ من مئة جزءٍ من رحمة الله تعالى!** أجل.. ماذا لو قيل لك: إنَّ ذلك الجزء تضاعف مرة أو مرتين، وسقاك الله تعالى منه مشاهد النهايات؟!

- ماذا لو قيل لك ذلك يوم القيامة، حين يقوم النَّاس من قبورهم، ويقفون بين يدي الله تعالى، وتُنصب موازين العدل، ويجري الله تعالى هذا المعنى بكلِّ صوره ومشاهده وأحداثه، وتكتمل مســاحات تلك الرحمــة في فصولها الكبرى عبر مئة جزء وليس جزءاً واحداً؟! ولئن ملأ ذلك الجزءُ الدُّنيا كلَّها، فما الظَّنُّ بمئة جزء في تلك النهايات؟! والله المستعان!





- إذا مــلأ حنينُ الأمَّهــات على أولادهنَّ مشــاعرَك، ورُويت من مشــاهد الإحســان التي تراها بين العالَمِين، وشــبعتَ من دموع المودِّعيــن والفرِحين، والمســافرين والعائدين في أيــام دنياك، وأدركتَ أن هــذه الصُّوَرَ كلَّها لرحمةٍ واحدةٍ أودعهــا الله تعالى هذا الكــون، ثم ذهبتَ بالذَّاكــرة إلى هناك، إلى يــوم القيامــة، ومواقف الجزاء والحساب، وقد بلغكَ أن هناك تســعةً وتسعين جزءاً من الرحمة، وليس رحمةً واحدة؛ أدركتَ حينها كيف ستجري صورُ الجمال في مشاهد القيامة!

• **إن كانت رحمةٌ واحدةٌ وسِــعَتِ الدُّنيا كلَّها؛ فتســع وتسعون رحمةً قادرةٌ بإذن الله تعالى على ملء الكون كلِّه بأبهج وأدهش النهايات.**

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!







١١

أَتَرونَ هذه طارحةً ولدَها في النَّار؟!

• حين تصنع موقفاً جميلاً، وتكتبُ مشهداً آسراً، وتمدُّ في مساحة معروف؛ إنما تصنع للحياة ألفَ معنًى.

في مرَّاتٍ كثيرةٍ يتحدَّث النَّاس عن مديرهم والمسؤول القائم على إدارة شؤونهم، ويذكرون مشاهدَ من الإحسان للدرجة التي لو جئتَ يوماً من الأيام لتنقلَ خبراً عن ذلك المدير فيه شيء من الجفاء؛ لتواثَبَ إليك كلُّ من يعرفه، وأخبروك بأنك واهم فيما تقول، ومثل ذلك لا يصنع إلَّا مساحات الجمال، ولا يترك في نفوس العالمين إلَّا الأفراح.

• في «الصَّحيحين» [البخاري: ٥٩٩٩، ومسلم: ٢٧٥٤]: من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنَّه قَدم على النَّبيِّ ﷺ سَبْيٌ، فإذا امرأةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى، قد تحلَّبَ ثَدْيُها ـ أي: سالَ اللَّبَنُ مِنْ ثَدْيِها ـ، إذ وَجَدَتْ صَبِيّاً في السَّبْيِ، فَأَخَذَتْهُ وَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فقال ﷺ: «**أَتَرونَ هَذِه طارِحةً وَلَدَها في النَّارِ؟**» قلنا: لا والله، وهي تقدرُ ألَّا تَطْرَحَهُ، فقال ﷺ: «**اللهُ أرحمُ بعبادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِها**».





وفي رواية: «**اللهُ أرحمُ بعبادِهِ مِنَ المَرْأةِ بِوَلَدِها**»!

- هذه أمٌّ فقدتْ ولدَها وروحَها ومشــاعرَها، وضاعتْ منها أحلامُها في ســاعة زمــن، وأقبلتْ في زحــام الخَلْق لا ترى في عينها ســوى تلك الأحــلام، ولا تلوي إلَّا إلى تلك المشاعر المسلوبة منها في عرض الزمان، وبينما هي تبحث وتجري وتسأل، وجدتْ ذلك المفقودَ، ورأتْ تلك العافية، ولقيتْ تلك المشاعر، وذهبت بعضُ معاني الوجد، وعادت لها تلك الروحُ، فألقَتْه على صدرها، وأَلْقَمَتْه ثديَها، وتحدَّر الدمعُ من عينها من بُشــرى ذلك اللقاء، ثم هيَّأ الله تعالى لك أن تحضر ذلك المشــهد لتقصَّ فصولَه على من حولك من العالمين بعد ذلك، وقد رأيتَ من حُبِّها ووَلَهِهَا، وروحِها ومشاعرِها ما يعجز بيانُك عن الإفصاح عنه.

- **كان النبــيُّ ﷺ يرقــب ذلك الموقــف**، وحين رأى **اكتمالَ فصول تلك المشــاهد** في رضيــع ينام على صدر أمِّه، ويرضع من لبنها، ومســاحات الدمــع تتحدَّر على وجنتيها تعبيراً منها عن أفراح اللُّقيا بعــد الفراق، واللَّذَّة بعد الحِرمان، والنِّعم بعد الشــقاء، **حــاول أن يلفتَ نظر الصَّحابــة معه إلى ذلك المشــهد**، فســألهم: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟**».



- **سأســألك الآن**: لو كنتَ معهم، ورأيتَ فصولَ هذا المشــهدِ كاملــةً بيــن يديــك؛ بمــاذا كنتَ ســتُجيب رسول الله ﷺ؟ هل كنت ستتردَّد في الإجابة، أو تشكُّ في أول إجابة تنداح علــى فكرك؟ لا! أجزم أنك ســتجيب وبملء فمك: لا، وألف لا!

صحابةُ رسولِ الله ﷺ الَّذين حضروا المشهد، ووقفوا عليــه، كلُّهم بلا اســتثناء قالــوا: لا والله يا رســول الله! فقال ﷺ: «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**»!

- **عُدْ لتأمُّل الصُّورة من جديد**، أمٌّ وجدتْ وَلَدَها بعد زمن من الضياع، ثــم أخذته على صدرها؛ هل يمكن أن تلقيه في النَّار؟ وإذا كنت تقول: (لا)، وتحلف يميناً على ذلك لا تستثني؛ **فالله تعالى أرحم بك ألفَ مرَّةٍ من هذه بولدها**.

- **أعِدْ هذا المشهد على مشــاعرك**، وتأمَّل فيه طويلاً، وتخيّل أمّاً تَلقَى وليدها بعد طول عناء؛ ما الذي تهبه له؟ وما الذي تفعله؟ وكيف تحتضنــه؟ وكيف يبقى في يدها بعد ذلك خوفاً من الضياع؟ وتذكَّر في كلِّ مرة أنَّ هذه أمٌّ، **وأنت يوم القيامة بين يــدي ربٍّ خلقك ورزقك**، وعافاك





وربَّاك، ودلَّك على الطريق، وردَّ عنك السُّـــوءَ، وعلَّمك، وأجرى لك الحياةَ، ومحالٌ أن يخذلك في أحوج المواقف إليه، وهو الكريم المنَّان!

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *





١٢

رأيتُه يتقلَّبُ في الجنَّة

- **يا لِجَلالِ الله تعالى! ويا لِكَرَمِه!** تعمل عملاً بسيطاً لا يأخذ منك سوى دقائق معدودة، فيُجري الله تعالى لك به الحياةَ، ويغمرك به في مشاهد النعيم، ويهبك من أحلامه ما لم يكن لك على بال.. لعلك تسأل: كيف ذلك؟

- في «الصَّحيحَيْن» [البخاري: ٦٥٢، ومسلم: ١٩١٤]: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «**بَيْنَمَا رجلٌ يَمْشِي بطريقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ على الطَّريقِ، فأخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَه، فَغَفَرَ له**».

وفي رواية: «**لَقَدْ رأيتُ رَجُلاً يتقلَّبُ في الجَنَّةِ في شَجَرَةٍ قَطَعَها مِنْ ظَهْرِ الطَّريقِ، كانتْ تُؤْذِي النَّاسَ**».

- **تخيَّل هذا العمل! تأمله طويلاً!** انظر إلى كلفته ومشقَّته وجهده، وانظر في المقابل إلى تلك النِّهايات التي صنعها لصاحبه! غُصن شوك قد يحتاج في مرات فأساً تأخذها معك لتقطعه، وفي مرَّات أخرى لا يحتاج منك سوى بضع دقائق لتُنَحِّيه عن الطريق، وتُلقي به على حافة الجهة المقابلة، ثم تلقى أمانيك.





- حين تقرأ الحديثَ، وتتأمَّل في النِّهايات التي حقَّقها لصاحبه، تلحظ تعبيراتٍ مختلفةً كلُّها مجتمعة تدلُّك على عِظَمِ هذا العمل عند الله تعالى، وجلالةِ قدره، وسموِّه في ميزان الآخرة، «**فشكر الله له، فغفر له**»، «**يتقلَّب في الجنَّة**»..

وهذا الشُّكر من الله تعالى على عمل يسير كهذا؛ يصلُ لحدِّ الغُفـران! ويتقلَّب به صاحبُه فـي الجِنان، كأنه يقول لك: لم يكن مـن آثاره أنه أدخل صاحبَـه الجنَّةَ، وبلغ به تلك المنـازلَ، وأورده إلى غفران الذُّنوب، فحسـب؛ بل أكسبه رضاه للدرجة الَّتي لم يدخله به الجنة فحسب، وإنما ألقى به في النَّعيم، للدرجة التي أخذ يتقلَّب فيه، ويستلذُّ تلك الفرصة التي سـنحت له يوماً فصنع بها ومن خلالها الحياة.

- **تخيَّلْ أنَّك في يوم القيامة**، وأنت واقفٌ بين يدي الله تعالى، وقد نُصبت الموازينُ، وأنت لم تدفع شـوكاً عن الطريق فحسـب، بل صنعتَ كلَّ ما تستطيع في سبيل الله تعالى.. بقيت متعبِّداً لربِّك، وطائعاً لـه، ومُعظِّماً لأمره، ومُجِلّاً لشـأنه، وقائماً بدينه ومنهجه، وأعرضت عن كلِّ ما يُخالف ذلك، ثم إذا بك في ذلك اليوم بين يديه تنتظر





جزاءً، وترقب مقابلاً، وتبحث عن وفاء!

ومثلك أوعـى أنَّـه إذا كانَ دَفْعُ الأشـواك التي على الطُّرقات بالغـاً بك إلى هذه الخواتيم المدهشـة؛ فكيف بالحسنات الكبار في مواقف القيامة؟!

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *





١٣
لو لم تُذْنِبوا!

• هَبْ أنَّك تلوَّثتَ بالخطأ أياماً من عُمرك، وتدنَّستَ بالمعاصي زمناً من حياتك، وعشتَ في ظلام الشَّهوات حيناً من دهرك وزمانك، هل تظنُّ أنَّك خرجتَ من دين الله تعالى، وبَعُدْتَ من رحمته، ونَأَتْ بك الخُطا عن حِلمه وعفوه ورحمتِه؟! هل تتصوَّر أنَّك حين تَعصي ربَّك وتخالفه أنَّك تودِّعُ ساحات رحمته، وتخرجُ من إطار عفوه وحلمه؟!

كلا! ربُّك الَّذي خلقك أعظمُ وأجلُّ من أن يُجري عليك صُوَر الحساب والعقاب من خلال تلك المعاني، والوحي حافلٌ بالأمثلة، وفيه من تلك المساحات ما يجري في قلبك ومشاعرك مدى العمر.

• **فإن قلتَ:** كيف ذلك؟ ما دليلك وبُرهانك على هذا الإطلاق؟

فيقال لك: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «**والَّذي نَفْسِي بيدِه، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللهُ بِكُم، وَلَجاء بقومٍ يُذْنبونَ، فيستغفرونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لهم**» [رواه مسلم: ٢٧٤٩].





أعِدْ قراءةَ هــذا النَّصِّ، كرِّرْ هذا المعنــى الكبيرَ على مشـــاعرك، قلِّبْه في عقلك وفكرك، وامنح نفسَك ساعاتٍ لترى صور الجمال الَّتي يعجزُ البيانُ عن وصف مباهجها في مثل هذه النصوص.

يــا لله! ما أدهش هــذا المعنــى على قلب إنســان! وما أروعَه على مشاعره! وما أعظمه في حياته!

• **لو كنتَ طاهراً معصوماً من الذنب، غير قابل للتلطُّخ بأوســاخ المعاصي؛ لَمَا قامتْ هذه المعاني الَّتي تراها في دُنياك اليوم**، ولذهب الله تعالى بتلك الأجيال كلِّها، وخلق أقواماً وأمماً تتمرَّغ في الذنب مراراً، وتغوص في حَمْأتِه، وتتلطَّخ به، ثم تعود وتؤوب إلى ربِّها تبارك وتعالى، فيغفر لها، ويتوب عليها، ويبلِّغها جنان الخلد في النِّهايات.

• **يخبرك رسولُ الله ﷺ**: أنَّ الله تعالى خلقك، وركَّب فيك هذه الشهوات، وجعلك قابلاً لها ومتفاعلاً معها، وزيَّنَها لك، وعرضها لك في صور مُغْرية، كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

ثم إذا وقعتَ في شيء منها، أعادك إليه من جديد من خلال التوبة، وأقبل بك على الحياة.



- **لقد دار خلافٌ بين أهل العلم في أيهما أفضلُ: الملائكةُ** الَّذين لا يَعصون الله ما أمرهم، ويَفعلون ما يُؤمرون، أو **بنو آدم** الَّذين يُعتبر الخطأ أصلاً في خَلْقهم، وملازِماً لهم، كما قال ﷺ: «**كلُّ ابنِ آدمَ خَطَّاءٌ**» [مسند أحمد: ١٣٠٤٩].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في توجيهٍ جميلٍ: الملائكة أفضل باعتبار البداية، والبشر أفضل باعتبار النِّهاية، والمعنى: أنَّ الَّذين وقعوا في الذَّنب، وتلطَّخوا بأوضاره، ونالوا من حمأته، وتابوا وعادوا إلى الله تعالى؛ أجلُّ في النهايات من ملائكة الله تعالى الَّذين لا يعصونه طرفة عين، فضلاً أن يتلطَّخوا بشيء من آثار تلك الذنوب.

حين تقرأ هذا النَّصَّ يقلُّ رهقُك من الحياة، وتمضي على سجيَّتِك فيها، وتتخفَّف من تلك النَّوازع التي تلاحق قلبك ومشاعرك، حين تدرك أن الخطأ من لازِم بشريَّتِك وأنك موعود بغفران تلك الذُّنوب، وذهاب تلك السَّيِّئات؛ بتوبتك وعودك إلى الله تعالى من جديد.



أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *



١٤

حتَّى الغَدَرات والفَجَرات

• **رَهَقُ الذُّنوب، والفوضى التـــي تخلِّفها في القلوب، عاملٌ مشترَك بين العالَمِين**، ومهما حملتْ لأصحابِها من أفراحٍ عاجلةٍ، فَسَـــتَكُرُّ عليهم بعد ذلك بعواصف الحُزن والمشـــكلات والظُّروف التي تكاد تقعد بهم عن الحياة، ولن تعرف أثرَ هـــذا المعنى حتى ترى تلـــك الأمم التي تبحث عن الطريق، وتشـــتاق للحقائق، وتودُّ أن تدفع في الهداية كلَّ شيء.

• أتى النبيَّ ﷺ شيخٌ كبيرٌ هَرِمٌ سقط حاجباه على عينيه، وهو مُدَّعِمٌ على عصا، حتَّى قـــام بين يدي النَّبيِّ ﷺ، فقال: أرأيتَ رجلاً عملَ الذُّنوبَ كلَّها، لم يترك داجَةً ولا حاجَةً إلَّا أتاها، لو قُسِـــمتْ خطيئتُه على أهلِ الأرضِ لأوبَقَتْهُم، أَلَهُ توبةٌ؟ فقال ﷺ: «**هَلْ أسلمتَ؟**» قال: أشهد أنْ لَا إِلٰه إلَّا الله، وأنَّك رســـولُ الله، قال: «**تفعلُ الخيراتِ، وتتركُ السَّـــيِّئاتِ، فيجعلهنَّ اللهُ تعالى لك خيراتٍ**» قـــال: وغَدَراتي وفَجَراتي يا رســـول الله؟ قال: «**نعم، وغَدَراتك وفَجَراتك**»، فقال: الله



أكبرُ، الله أكبرُ. ثم ادَّعَمَ على عَصَاه، فلم يزل يردِّدُ: الله أكبرُ.. حتَّى توارَى عن الأنظار. [صححه الألبانيُّ في صحيح الترغيب].

هذا هو دين الله تعالى؛ لا يُبقي صورةً من صور الماضي، ولا يعبأ بعارِضٍ في الطريق، ويأتي على كلِّ شيء في النهايات.

- يذكِّرك النبيُّ ﷺ بأنَّ كلَّ ذنوبك، وأخطائك، وسيِّئاتك، ومعاصيك، وأحداثك، وخلواتك، حتى غدراتك وفجراتك؛ كلُّها دون استثناء تنتهي من تاريخك، وتخرج من صحائف أعمالك، وتعود حسنات مورقةً من جديد؛ إذا تبتَ وأنبتَ.

- أعد قراءة الحديث، وتأمَّلْ هذا التفصيل؛ أرأيت رجلاً عمل الذُّنوب كلَّها؛ لم يترك داجَةً ولا حاجَةً إلَّا أتاها، لو قُسِّمتْ خطيئتُه على أهل الأرض لأوبقتهم، أله توبة؟! عمل كلَّ الذُّنوب؛ لم يترك شيئاً منها البتة، وتدنَّس بصغائر الذنوب وكبائرها للدرجة التي لو قُسِّمتْ خطاياه على أهل الأرض لأوبقتهم؛ بمجرَّد إسلامِه، وحُسنِ توبته، وصِدقِ إقباله، وتَبدُّلِ حاله وحياته، وتركِهِ الذنوبَ، وإقبالِه على الخيرات؛ تعود كلُّ تلك الخطايا التي اقترفها في أيام زمانه إلى حسناتٍ وخيراتٍ، حتَّى الغَدَرات والفَجَرات!





- **من حقِّك أن تُدهش**، ومن حقِّك أن تقف واجماً أمام رحمة ربِّك، وجلال عفوه، وسعة حلمه، ومن حقِّك أن تُكَبِّر ألفَ مرةٍ كهذا الأعرابيِّ الذي لم يتمالكْ نفسه حتى صدح بالتكبير في طرقات المدينة، وأقبل على الحياة من جديد.

ـ الله أكبر من أن يُحاسبك بذنب وقد تُبْتَ منه، وصلح حالك، وعُدْتَ إليه من جديد.

ـ الله أكبر من أن يَحبسك في دائرة ضيِّقة، ويُوصد في وجهك أبواب الرحمة والغفران!

ـ الله أكبر من أن يُكَبِّلك بتلك الخطايا، ويَحكم عليك بالخُذلان بمجرَّد ولوغك في تلك الذنوب!

ـ الله أكبر من أن يُعاملك كما عاملتَه، ويتنكَّر لك كما تنكَّرتَ له، ويَسقيك من الكأس ذاته، أو يرويك من ذات المعين!

- **حين تعود إلى الله تعالى سيقبلك دون نظر إلى شيء من ركام ذلك الماضي، وسيهبك من الحياة ما لم يخطر لك على بال.**



أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!



١٥

وإنْ زَنَى وإنْ سَرَق!

• **إيمانُك بربِّك، وتوحيدُك له من أعظم القربات، وأجلِّ الطاعات، وإذا قام شأنُ التوحيد في قلبك قام كلُّ شيء!** ولن تتخيَّل أثرَ ذلك حتى تقرأ نصوص الوحيين، وترى ما يصنع التوحيد في قلوب أصحابه، وما يُجري لهم من معانٍ في النهايات.

ولترى هذه الحقيقة بكامل فصولها، تعالَ معي إلى هذا الحديث الذي يحكي فيه نبيُّك ﷺ أثر ذلك، ويُبيِّن ما يصنع لك في الخواتيم.

• عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «**ما مِنْ عبدٍ قالَ: لا إلٰه إلَّا اللهُ، ثمَّ ماتَ على ذلك، إلَّا دخلَ الجنَّةَ**»، قلتُ: وإنْ زَنَى، وإنْ سَرَقَ؟ قال: «**وإنْ زَنَى، وإنْ سَرَقَ**»، قلتُ: وإنْ زَنى، وإنْ سَرَق؟ قال: «**وإنْ زَنَى، وإنْ سَرَقَ**»، ثلاثاً، ثم قال في الرَّابعة: «**عَلَى رَغْم أَنْفِ أَبي ذَرٍّ**»، قال: فخرج أبو ذرّ: وهو يقول: وإن رَغِمَ أنفُ أبي ذرٍّ. [رواه البخاري: ٥٨٢٧، ومسلم: ٩٤].

- **هكذا هو ربُّك!** هكذا هو العظيم الحليم، الغفور الرحيم! هكذا هو العليم القدير! كلمة التوحيد الخالصة (**لا إلٰه إلَّا الله**) تهدم كلَّ شيء، حتى أخطاء الزُّناة وخطايا السُّرَّاق!





- من حقِّ أبي ذرٍّ أن يستغربَ ويردِّد ثلاثاً: (وإن زَنَى، وإن سَرَق؟)؛ لأن خطايا الزِّنى وأحداث السَّرِقة كبائرُ، وما كان يظن أن أشعة (لا إلٰه إلَّا الله) تطفئ تلك السَّيِّئات، وتتجاوز عن تلك الأحداث الكبار!

ومن حقِّ رسولِ الله ﷺ، العارفِ بربِّه، المُطَّلع على فيوض رحمته: أن يقولَ ثلاثاً كذلك: «**وإن زَنَى، وإن سَرَق**» ويقول في الرابعة: «**وإن زَنَى، وإن سَرَق، على رَغْمِ أنفِ أبي ذرٍّ**»!

• **قال ابن القيِّم** رحمه الله تعالى في ظلال هذا المعنى: أشعة **(لا إلٰه إلَّا الله)** تبدِّد ظلام الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه؛ فلها نورٌ، وتفاوتُ أهْلِها في ذلك النور قوة وضعفاً لا يُحصيه إلَّا الله تعالى، فمن الناس من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدُّرِّيِّ، ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم، وآخر كالسِّراج المضيء، وآخر كالسِّراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بإيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة علماً وعملاً، ومعرفةً وحالاً. اهـ.

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!



١٦

الحسناتُ والسَّيِّئات

• لو أنك أخذتَ جولةً علـــى تعامُلات الناس بعضهم مع بعض؛ لرأيتَ الكثيرَ من التعدِّي على بعضهم، والبَخْس في حقوقهم، والعبثِ في المَوازين، وسترى أنَّ العدل يغيبُ في كُلٍّ أو جُـــلِّ هذه التعاملات، فضلاً عـــن ميزان الفضل الذي ينبغي أن يتعامل به الإنسانُ مع الآخرين.

إذا أردت أن تتعرَّف على ربك، وترى صوراً من رحمته وجلاله، وفضله وإحســـانه؛ فلعلك تقرأ هذا المعنى الذي يُبَيِّن به رسولُك ﷺ فضلَ الله تعالى وكرمَه وإحسانَه:

• في «الصَّحيحَيْن» [البخاري: ٦٤٩١، ومسلم: ١٣١]: من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال ﷺ: **«إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذلك، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فلم يَعْمَلْها، كَتَبَها اللهُ له عندَه حَسَنَةً كامِلَةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها، كَتَبَها اللهُ له عندَه عَشْـــرَ حســـناتٍ إلى سَـــبعِمئةِ ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ، ومَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فلم يَعْمَلْها، كَتَبَها اللهُ له عندَه حسنةً كاملةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها، كَتَبَها اللهُ سيئةً واحدةً»**.





هل قرأتَ الحديثَ بقلبك ومشاعرك؟ إن لم يكن ذلك فأعِـدْ قراءته من جديـد، تأمَّلْه طويلاً حتَّـى تدرك فضلَ ربِّك، وسعة رحمته، وعظيم عفوه، وفضله وإحسانه على عباده المؤمنين.

- مجرَّدُ همِّك وتفكيرك وخيالك في بَعْثِ الجمال في الكون من حولك، وصناعةِ فألٍ طيِّبٍ في المساحات التي تكون فيهـا، ومدِّ يد الخيـر؛ تبدأُ فصـول الحياة معك، فيكون ذلك الهمُّ الذي لم يجاوزْ قلبَك حسنةً في موازين أعمالك.. فقط حين تتحـرَّكُ مشـاعرُك، وتصلح نيتُك، وينبض قلبُك بالخير؛ تجري مشاهد النعيم في حياتك إلى أقصى مدى!

قد تكون مضطجعاً على سرير نومك وينتابك هَمٌّ تلك الأسرة المبعثرة، ويقوم في قلبك حنينٌ إلى جمعِ شتاتها، أو يبدو لك ذلك الخصامُ بين جيرانك، فتهمُّ وتعزم على إصلاح ذلك الشِّقاق، أو تجيش في قلبك مشاعر الرَّحمة ليتيمٍ في حيِّك، أو أرملةٍ لا تجد مُعيناً، أو كسـيرٍ يحتاج من يُواسيه، وتعزم على أنَّك سـتمدُّ في تلك الخطوات، وتَجْبُرُ أولئك المكسورين، وتلمُّ شَعَثَ المتفرِّقين، وتُعِيدُ الحياة إليهم من جديـد؛ فتُكتب لك الحسـناتُ، وتثقلُ





موازينُك وأنت لم تبرحْ سـريرَك بعد، ولـم تبدأ فصولَ العمل حتى الآن.

فإذا ما قمتَ إلى العمل، وواسيتَ هؤلاء المنكوبين، ولَمْلَمْتَ تلك الجِراحَ، وقاربْتَ بين القلوب، وردمْتَ ذلك الصَّـدْعَ، وأعدتَ الحياة إلى مجاريها؛ فذلك شـأن آخر؛ يكتب الله تعالى لك فيه حسـنةَ ذلـك العمل، ثم تجري مضاعفتُه إلى عشـرِ حسـنات إلى سـبعمئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، حتى إنك تجدهـا يوم القيامة بما لم يكن لك في الحسبان.

أترى هذا الفصـلَ كافياً لرحمة ربِّـك وفضله عليك، وعظيم إحسانه إليك، وكرمه معك! لا! تعالَ معي لفصل آخر يمدُّ في ذات المساحة، ويصنع ألفَ فألٍ للحياة:

- تهمُّ بالسَّيِّئة، وتتشـكَّل في قلبك فصولُ المعصية، وتتهيَّجُ تلك الشـهواتُ في مشـاعرك، ثمَّ تدعها وتتنازل عنها وتتركها بعـد أن اكتملت كلُّ فصولهـا، فيكتبها الله تعالى لك حسـنةً كاملةً، ولـو أنَّك تأمَّلْـتَ فصولَ هذا المشـهد كاملةً؛ بدايةً من رغبتك، وهيجان المعصية في قلبك، وهمِّك بها، وما في ذلك من سوءِ أدبٍ مع ربِّك، ثمَّ مجـرد تنازُلك عنها يُفضي لك بالحَسَـنات، وإن كان







العدلُ ألَّا يُكْتبَ لك شيءٌ، إلَّا أنَّ رحمةَ الله تعالى أكبر من ذلك بكثيــر! يُعيــد الله تعالى فصــولَ الهمــوم الدنيئة، والأفكار البالية، والتصــوُّرات الخاطئة إلى فصولِ جمالٍ وحسناتٍ!

- **تخَيَّلْ كيــف يُعاملك ربُّك!** أعد قــراءة هذا النَّصِّ مراراً، أقم مشاعرك شاهداً على فصول هذا المعنى الكبير: مجرد همِّك بحســنة ولم تتحرك قيدَ شــبر لعملها تُكتب حسنة، وأبعد من ذلك: تهمُّ بسيئة وتتركها تُكتب حسنة، ثم تعمل حســنةً فتتضاعف إلى حسنات كثيرة جدّاً، وهي في أصلها حسنة واحدة، وتعمل سيِّئةً ثم لا تكون إلَّا هي فحسب، ولا يُزاد لك فيها شيءٌ.

إنَّ ربّاً يعاملك بهذه المعاني، ويضع لك يوماً لعرض أعمالك للموازين؛ ســيكون هذا اليومُ يوماً رائعاً، وحافلاً بإذن الله تعالى بالمسرَّات!



أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!







١٧

غَفرتُ لكَ ولا أُبالي!

• في «سنن الترمذي» [٣٥٤٠]: من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**قالَ اللهُ تعالى: يا بنَ آدمَ، إنَّك ما دَعَوْتَني وَرَجَوْتني غفرتُ لكَ على ما كانَ فيكَ ولا أُبالي، يا بنَ آدمَ، لو بلغتْ ذنوبُك عَنانَ السَّماءِ، ثمَّ استَغْفَرْتَنِي، غفرتُ لك ولا أُبالي، يا بنَ آدمَ، إنَّكَ لو أَتيتَني بِقُراب الأرضِ خطايا، ثمَّ لَقِيتَني لا تشركُ بي شيئاً؛ لأتيتُك بِقُرابها مغفرةً**».

أيّاً كانتْ أخطاؤك! ومهما كانت معاصيك، وإن بلغ جرمك ما بلغ، ولو كانت أوزارُك كلَّ شيء؛ فإنَّه بمجرَّد دعائك لربِّك، ورجائك فيه، وإقبالك عليه، وحُسن ظنِّك به، تنتهي تلك الفصولُ المظلمة، وتُقْفَل تلك المساحاتُ ومشاهدُ الظَّلام في حياتك، وتعود صالحاً، مُجابَ الدعوة عند ربِّ العالمين.



حُسنُ الظَّنِّ بربِّك، ورغبتُك الجادَّة في ستر ماضيك، وحرصُك على تصحيح مسارك؛ يغسل كلَّ





ذنوبك، ويطهِّرك من جميـــع أوزارِك، ويُقبل بك على الحياة من جديد.

- **تخيَّــلْ لــو أنَّ ذنوبَك عَــلا بعضُها علــى بعض،** وتراكمتْ من موقع قدمك ومســاحة تواجدك حتَّى بلغتْ عَنانَ السَّماء!

- تخيَّلْ أنَّك تمدُّ بصرَك عالياً تريد نهاية تلك الذنوب فلا تكاد تراها، لقد بلغت عَنان السَّماء!

- تخيَّلْ أنك ســألتَ عن أكبر جبال الدُّنيا، ثمَّ ذهبتَ إليها ووقفت عند أصلها، ومَدَدْتَ بصرك إلى السَّماء، وإذا بك أمام جبــال يصعب عليك وصفُها وعرضُ مشــاهدها وبيان مســاحتها طولاً وعرضاً وثباتاً، ثمَّ حين كَلَّ بصرُك من النَّظر والدَّهْشة بتلك الأحجام الضخمة، قيلَ لك: هذه ذنوبُك التي ستوضع في ميزان العدالة يوم القيامة بين يدي الله تعالى! **هل كنت تتوقَّع أن تجد عملاً صالحاً يمكن أن يقابل تلك الجبال في الميزان؟!**



- اســرح بخيالك فــي كلِّ أعمالك الصَّالحــة، وخُذْ تفكيرَك إلى أقصى مدى، واسبح بمشاعرك في كلِّ عمل؛ ستعود كالّاً يائساً، ولا سبيل لك للمقارنة بين أعمالك كلِّها وهذه الجبال التي تقف مشــدوهاً منها؛ كيف إذا قيل لك:





سيِّئاتُك ليست كتلك الجبال التي تتوقَّف طولاً في مساحة ما، بل للحدِّ الذي تبلغ فيه عَنان السَّماء!

- قارِنْ بين كلِّ جبال الدُّنيا التي رأيتَها في حياتك، وبين ذنوبك التي تصل إلى عَنان السَّماء، ثم اعقدْ مقارنةً بين توقُّعاتك: هل ستكون أسيراً في دركاتها، أو ناجياً من غمرات مشاهدها؟ ثم قل لنا في النِّهاية: ما الذي ترجَّح لديك؟

- **وأجزم قولاً واحداً أنَّك لن تتصوَّر غيرَ الهلاك والضياع**، والخسار والبوار، ولا شيء سوى ذلك.. فكيف إذا قيل لك: مجرَّدُ استغفارك الذي يُنْبِئ عن ندمك وصدقك، وحُسن إقبالك، كافياً لِأَن يقف أمام تلك الجبال كلِّها، ثمّ لا يُبْقي لها أثراً!

تخيَّلْ تلك الذنوب التي بلغت عَنان السماء، وذلك الاستغفار الذي تمَّ في مساحة محدودة، وزمن قصير، ولحظة عابرة، ثمّ نَسف ذلك الرُّكامَ من الخطايا وكأنها لم تكن شيئاً، فضلاً أن تكون مثل الجبال! «**ثمّ استغفرتَنِي غفرتُ لك ولا أُبالي**»!

كلُّ هذا حتَّى تعرف ربَّك! تتعلَّم كيف توازن بين خطيئتك وجبروتك وظلمك، وبين رحمته وعفوه وإحسانه، ترى الحقائق حينها رأي عين.





• **أجزم يقيناً أنَّك إلى هنا ستقف واجماً عن الحديث،** مدهوشــاً بما تقرأ من هذه الفصول؛ فكيــف لو قال لك ربُّك: «**يا بــنَ آدمَ، لو أَتَيتَني بِقُــراب الأرضِ خَطايا، ثمَّ لَقِيتَني لا تشركُ بي شيئاً، لأتيتُكَ بِقُرابها مغفرةً**».

لو أنَّك يوم القيامة جِئت بقراب الأرض (أي: ملئها) خطايا وذنوباً ومعاصي وظلاماً وســوءاتٍ، ثمَّ جئتَ في المقابل بالتوحيــد لربِّك، وأنَّه هو وحــده الخالق المدبِّر القادر، المســتحق للعبــادة؛ لكان كافيــاً أن تذهب تلك الأوزارُ التي ملأتِ الأرضَ ظلاماً أمام توحيد الله تعالى.

• إن طال بك المقــامُ، وصُنع حاجزٌ بينك وبين ما قال ربُّك، فارجع للوراء قليلاً، واقــرأ فصولَ ذلك الحديث من جديد، ثم أعِدِ المقارنة وعلى عَجَل، لتحسن مشاهدَ الخِتام، وتقرأ فصول رحمة ربِّك، وفضله وإحسانه، ويقوم في قلبك حينَها أنَّك حين تقف أمامه تعالى ليس بتوحيدك فحســب، وإنَّما بصلاتــك، وزكاتــك، وحجِّك، وصيامــك، وصلة رحمك، وصدقاتــك، وفعلك للمعــروف، وحينها مُدَّ يدَك لاستقبال عطايا المغفرة والخير من ربٍّ توَّاب غفور رحيم.

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!





١٨
اعمَلْ ما شئتَ فقد غَفرتُ لك!

• في «صحيح البخاريِّ» [٧٥٠٧]: من حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ، قال: «إنَّ عبداً أصابَ ذنباً، ورُبَّما قال: أذنبَ ذنباً، فقال: ربِّ أَذْنَبْتُ ذَنْباً، وربَّما قال: أصَبْتُ، فاغفرْ لي، فقال ربُّه: أَعَلِمَ عبدي: أنَّ له ربّاً يغفرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ به؟ غفرتُ لعبدي، ثمَّ مَكَثَ ما شاءَ الله، ثمَّ أصابَ ذَنْباً أو أَذْنَبَ ذنباً، فقال: رَبِّ أَذْنَبْتُ، أو أصَبْتُ آخر فاغفِرْه، فقال تعالى: أَعَلِمَ عبدي: أنَّ له رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ به؟ غَفَرْتُ لِعَبدِي، ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْباً، وربَّما قال: أصابَ ذنباً، فقال: ربِّ أصَبْتُ، أو قال: أذنبتُ آخرَ، فاغفره لي، فقال تعالى: أَعَلِمَ عبدي: أنَّ له ربّاً يغفرُ الذَّنبَ ويأخُذُ به؟ غفرتُ لعبدي، ثلاثاً، فليعملْ ما شاءَ».

• تكرارُ أخطائِك وكثرةُ أعذارِك عندَ العالَمِين إساءةُ أَدَبٍ، وحقُّك أن تُسجن ما بَقِي العمر.. أمَّا عندَ الله تعالى فهذا دليلُ بشريَّتِكَ، وضعفُ حالك، وقلّةُ صبرك،





وحاجتُك إليه تعالى؛ فاحسبِ الفرقَ بين الأمرين تُدرك مسافةَ النهايات بإمعان!

- حين تتعاملُ مع البشــر فتخطئ في حقٍّ أحدهم مرةً ومرتين وثلاثاً؛ يرى أنَّ هذا نوعاً من الاســتخفاف، وقلةِ الحياءِ، وســوءِ الأدب، فيقســو عليك، ويضاعف عليك العقوبةَ، ويشــدِّد عليك، وقد يحكم عليك بأزلية العقوبة ما بقي الدَّهر.. وحيــن تتعامل مــع الله تعالى يرى ذلك بعض حاجتك إليــه، فيغفر لك، ويصفــح عنك، ويهبك عفواً ما تكرَّرتْ تلــك الأخطاءُ، وزادت تلك السَّــيِّئاتُ، وكثرتْ تلك العَثَرات.

- تخيَّلْ يوماً أنك وقعت في معصية، ولقيتَ من حرِّها وأثرها على نفسك ومشــاعرك، وأقبلت على ربِّك راجياً مُخْبِتاً منيباً، فلا يأخذك بعثرتك، ولا يُواجهك بخطيئتك، ولا يُحَمِّلك تلك الأثقال ما بقي زمانك، وإنما يغفر لك، ويتجاوز عنك، ويهبك الحياة من جديد..

ثم تنســى تلك الخطيئةَ، وتنســى تلك الرحمةَ الَّتي شملتْكَ يوم حاجتك، وتنســى ذلك العفوَ الرَّبَّانيَّ الذي تجاوز لك عن ســيِّئاتك، وتعود من جديد إلى معصيته، وتتجــاوز على منهجه وشــرعه، وتقع فــي الخطيئة مرة





ثانية؛ ثم تتلظَّى بحرِّها، وتعود ثانية إلى ربِّك، وتقف على بابه تسأله أن يعفو عنك، ويغفر لك، ويتجاوز عنك، فإذا به يتجاوز لك عن كلِّ شيء وكأنَّك لم تقف أول مرة بذلك الباب.

ويعود الزمان من جديد، وتعود لأخطائك وسفهك، وظلامك وجرأتك على ربِّك مرة ثالثة، ثم حين وجدتَ حَرَّها ولهيبها، وشعرتَ بظلمك لنفسك وفواتِ أرباحك، أقبلتَ لتقف على ذلك الباب للمرة الثالثة، ثم لا يسألك عمَّا مضى منك، ولا يبحث معك تلك الخطايا، ولا يناقشك تلك الرَّزايا، وإنَّما يُغَطِّي على خطيئتك، ويلبسك ثوباً ساتراً، ويغفر لك على كلِّ ما كان منك.

- **ما يدعو للجمال:** أنَّه مع كلِّ تلك التجاوزات التي يصنعها الإنسان، ويعود إليها ويكررها، يلقاه ربُّه تعالى في كلِّ مرة بهذا المعنى الكبير: «**أعلِمَ عبدِي أنَّ له ربّاً، يغفر الذنب، ويأخذ به؟ غفرت لعبدي**»!

- **الأعجب والأدهش**، والفصل الذي لا تملُّ قراءَتَهُ، ولا سبيل إلى الوصول إلى نهاية سطره الممدود بالفأل والجمال والحياة؛ هو قول ربِّك في النِّهايات: «**غفرتُ لعبدي، ثلاثاً، فليعملْ ما شاءَ**»!



رغم كلِّ مســاحات الرَّحمة والفأل، والأمل والسـعة التي يســتقبل الله تعالى بها خطايا عبده؛ هي في الحقيقة ليست بشــيء مطلقاً أمام تلك الخاتمة المدهشة: «**غفرتُ لعبدِي، ثلاثاً، فليعملْ ما شاءَ**»!

إذا كان هذا المشــهد الــذي يجري لك فــي دنياك، ورحمتُــه تعالى، جزءاً من مئة جــزء، فكيف برحمته يوم القيامة، ورحمتُه هناك هي تسعة وتســعون جزءاً وليست جزءاً واحداً؟!

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!







الفصلُ الثاني

لَحَظاتُ الـوداع



١

لا خوفٌ عليكُم ولا أَنتُم تَحزَنون

• ماذا لو كنتَ أمــام محكمةٍ من المحاكم، وتنتظر أن يُصدِر القاضي حُكمَه عليك وينطق به أمامك؟!

ماذا لو كنتَ في طوابيــر طويلةٍ تنتظر نتيجتك، وجاء دورُك ووقفــتَ تنتظر نجاحك مــن إخفاقك، ربحك من خسارتك؟!

ماذا لو كنــتَ خارجاً من بيتك، مودِّعــاً مدينتك، ثم لا ســبيل لك للرجــوع مرة أخــرى، وليس ثمــة فرصة للمحاولة في ذلك الطريق؟!

• ثمّ تخيَّلْ في المقابل: أنَّك عشتَ سنين طويلة، ثمَّ في النهاية حلَّت بك غصص الموتِ، وأقبلتَ على وداع دنياكَ، وكنتَ في آخر لحظات الدُّنيا، وإذا بك تسمع هذا الخطابَ الرُّوحيَّ الذي يُخاطب مشاعرك، ويصلُ بها روحك، ويدفع عنــك كلَّ الأوهام التي تعرَّضَتْ لك فــي حكايات الموت وقصص الوداع: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى



كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا
مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

• في مرَّات كثيرة تأتي لاجتماعات ولقاءات، ولا تعرف في الأصل أحداً، وبينما أنت لوحدك، وشعور الغربة يلتفُّ بك، ولا تكاد تجدُ من يسمع لك أو يقف معك، فإذا بصوت يُناديك باسمك أو كنيتك، وكأنه ألقى في مشاعرك ألفَ قصةٍ من الحياة في موقف ما.

كذلك الَّذي يُسافر وحده، ويأتي إلى مدينة من المدن وقد أوحشتْه الغربة، ولا يكاد يجد من يدلُّه على الطريق، أو يُعينه على الوصول، وهو لا يعرف وجهته، وقد ضلَّ الطَّريقَ تماماً، وربَّما أوشكتِ الطَّائرة على الإقلاع، أو موعد المقابلة أوشكَ على النهاية، أو أبواب الجهة التي يريدها لم تبقَ إلَّا لحظات حتى تُوصد دون آماله، ثم فجأة يرى في وجهه صديقاً حميماً يأخذه بأحضانه، ويمسك بيديه ويأخذه إلى حاجته ويصله بأمانيه.

• **هذه اللَّحظة التي تحكيها الآيةُ من أعظم اللَّحَظات التي تمرُّ على إنسان في الحياة كلِّها**، اللَّحظة التي انتهى فيها دورُه من دنياه، وهو في الطريق إلى آخرته، ثم هو





لا يعرف ما النِّهايات التي تنتظره، وما الجزاء الَّذي يستحقُّه، وكيف يبلغ أمانيه ويصل إلى أحلامه، فإذا بهذا الحادي يصف له الخواتيم، ويدهش تلك المشاعر، ويُرَبِّتُ على كتفيه، ويُلقي في روعه الحياةَ، ويخبرهُ بنتائج الرحلة ونهايات الطريق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

- **تتنزَّلُ عليهم الملائكة**، وتُخبرهم وهم في وداع دُنياهم، وفي الطَّريق إلى قبورهم، وفي خواتيم رحلةِ العمل واستقبال الجزاء والحساب، تتنزَّل عليهم وتُلقي إليهم هذا الخبر الكبير: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾!

- **لا تخافوا** ممَّا أنتم واردون إليه؛ سواء في رحلة القبر، أو مشاهد القيامة، وأحداث النهايات، كونوا هانئين مُطْمئنِّين، ولا تحزنوا على من خلَّفتم في دنياكم من أهل وأبناء ورفاق؛ فالموعد الجنان بإذن الله تعالى.

- ما يدهش في هذه النهايات وتلك الخواتيم، هذا المعنى الكبير: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ




وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾
نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾..

ـ **كنَّا أولياءَكم** تلك السنين الطويلة في الحياة الدُّنيا، وها **نحن معكم** في إتمام ذلك المشوار الطويل، معكم حتى في رحلة الخواتيم، وبين أيديكم حتى النهايات، ولكم كلُّ ما تريدون من نعيم: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾.

ـ في مرَّات حين تذهب لعمل ما، أو زيارة، فتلقى النَّاسَ في انتظارك؛ تشعر بالبهجة، وتغمرك مشاهد الأفراح، وتشعرُ بأنَّك في أبهج الأمكنة، وألذِّها على قلبك ومشاعرك، وحين لا تجد منتظِراً، وتتحمَّل أعباءَ الوصول، وتظلُّ وحيداً في مسافات الطريق؛ ينتابك من الغربة ما يُشقي مشاعرَك زمناً من الدَّهر، فكيف إذا كان الوداعُ هو آخرَ شيءٍ، والقدومُ على الله تعالى هو أولَ شيء، ولا عودة إلى تلك الخواتيم، ولا نهاية لذلك اللِّقاء؟!

• **ألا يكفي من الحياة أن تخرج أيها المؤمن مصحوباً بهذه الطمأنينة:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا



﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ وتلقـــى أمانيك بعد طول غربة، وتسعد في النهايات؟!

- إن يوماً يقال لك فيـــه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ لهو من أجمل وأدهش أيامك على الإطلاق..

- وإن ربّاً يتجاوز عن كلِّ أخطائك، ويهبك الحياة من خلال هذا المعنى الكبير؛ لهو ربٌّ عظيم!

- وإن نهايات تنتظرك وقد استقبلتك البشائر لهي من أجمل اللَّحظات.

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!





٢
وَداعُ الطَّيِّبين

• **لا أعلم لحظةً أفزع على إنسانٍ من لحظة الموت!** ولا أعلم خوفاً يُداهم الإنسان في كلِّ لحظة من حياته كخوف الموت، وحين قال النَّبيُّ ﷺ: «**من أحبَّ لقاءَ اللهِ تَعالى أَحَبَّ اللهُ لقاءه، وَمَنْ كَرِهَ لِقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقاءَهُ**»، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: يا نبيَّ الله، أكراهية الموت؟ فكلُّنا يكره الموت.. [رواه البخاري: ٦٥٠٧، ومسلم: ٢٦٨٤].

ومع ذلك يَروي رسولُ الله ﷺ لنا قصّة الموتِ على عباد الله الطَّيِّبين، ويروي لنا مشاهد من الجمال في هذا المعنى الكبير.

• في «مُسند الإمامِ أحمد» [٢٨٧/٤]: من حديث البَراء بن عازبٍ رضي الله عنه، قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:

«**إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدُّنيا، وإقبالٍ على الآخرة؛ نزل إليه ملائكةٌ من السَّماء بيضُ الوُجوهِ، كأنَّ وجوهَهُم الشمسُ، معهم كفنٌ من أكفانِ الجَنَّةِ، وحَنوطٌ من حَنوط الجَنَّةِ حتَّى يَجلِسوا منه مدَّ البصر، ويَجِيءُ مَلَكُ**





الموتِ حتَّى يجلسَ عند رأسِه، فيقولُ: أيَّتُها النَّفسُ الطَّيِّبَةُ، اخرُجي إلى مغفرةٍ مِنَ الله ورضوانٍ، قال: فتخرجُ فتسيلُ كما تسيلُ القطرةُ من فِي السِّقاءِ، فيأخُذُها ـ وفي رواية: حتَّى إذا خرجتْ روحُه، صلَّى عليه كلُّ مَلَكٍ بينَ السَّماءِ والأرضِ، وكلُّ مَلَكٍ في السَّماءِ، وفُتِحَت له أبوابُ السَّماءِ، ليس من أهلِ بابٍ إلَّا وهم يَدْعُـون الله أن يَعْرُجَ بروحه من قِبَلِهم ـ فإذا أخَذَها لم يَدَعُوها في يدِه طَرْفَـةَ عينٍ حتَّى يَأخُذوها، فيجعلوها في ذلك الكَفَنِ، وفي ذلك الحنوطِ، ويخرجُ منها كأطيبِ نفحةِ مِسْكٍ وُجِدَت على وَجْهِ الأرضِ.

قال: فَيَصْعدون بها، فلا يَمُرُّون على مَلَأ من الملائكةِ إلَّا قَالوا: ما هذه الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فيقولونَ: فُلانٌ ابنُ فلانٍ، بأحسنِ أسمائِه الَّتي كانوا يُسَمُّونه بها في الدُّنيا، حتى ينتهوا بها إلى السَّماءِ الدُّنيا فيستفتحونَ له، فَيُفْتَح لهم، فيُشيِّعه في كلِّ سماءٍ مُقَرَّبوها إلى السَّماء التي تليها، حتى يُنتهى به إلى السَّـماءِ السَّـابعةِ، فيقولُ الله تعالى: اكتبوا كتابَ عبدِي فـي عِلِّيِّينَ، فَيُكْتَبُ كتابُه في عِلِّيِّينَ، ثمّ يُقال: أعِيدوه إلى الأرضِ.

فَيُرَدُّ إلى الأرض، وتُعاد روحُه في جَسَده، فيأتيه مَلَكانِ فَيُجْلِسانِه فيقولانِ له: من ربُّك؟ فيقول: ربِّيَ اللهُ، فيقولانِ: ما دِينُك؟ فيقول: ديني الإسلامُ، فيقولانِ له: ما هذا الرَّجلُ



الَّـذي بُعِثَ فيكم؟ فيقـول: هو رسـولُ الله، فيقولانِ له: وما يُدْرِيكَ؟ فيقولُ: قرأتُ كتابَ الله، فآمنتُ به وصدَّقتُ.

فيُنادي منادٍ من السَّماءِ: أنْ قد صَدَقَ عبدي، فأَفْرِشوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وأَلْبِسـوه من الجَنَّةِ، وافتحوا له باباً إلى الجَنَّةِ، قال: فيأتيهِ مِنْ رَوحِها وطِيبِها، ويُفْسَـح له في قَبْـره مَدَّ بَصَرِه، ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوَجْه، حَسَنُ الثِّياب، طَيِّبُ الرِّيح، فيقولُ له: أَبْشِرْ بالَّذي يَسُرُّك، أَبْشِرْ برضوانٍ مِنَ الله، وجنَّاتٍ فيها نعيمٌ مُقيمٌ، هذا يومُك الَّذي كنـتَ تُوعَدُ، فيقولُ له: وأنتَ فَبَشَّـرَكَ اللهُ بخيرٍ، مَنْ أنتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْـهُ الَّذي يجيءُ بالخَيْرِ، فيقولُ: أنا عملُكَ الصَّالِحُ، فواللهِ ما عَلِمْتُكَ إلَّا كنتَ سَريعاً في طاعةِ الله؛ بطيئاً في معصيةِ الله، فجزاكَ اللهُ خيراً.

ثُمَّ يُفتَحُ له بابٌ مِـنَ الجَنَّةِ، وبابٌ مِنَ النَّـارِ، فَيُقالُ: هذا منزلُكَ لو عصيتَ الله، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ هَذا، فإذا رأى ما في الجَنَّةِ، قالَ: ربِّ عَجِّل قيامَ السَّاعة كيما أرجعَ إلى أهْلِي ومالي».

• هب أنَّك عشـتَ عمراً من حياتك علـى طاعةِ الله تعالى، ولقيتَ مـن العَناء مـا كان مُرْهِقاً لـك، ومُدْمِياً لمشاعرك، ومُقْلِقاً لقلبك، ودافعاً للشعور بالخوف والقلق، ثم تلقى بعد ذلك هذه المشاهدَ الآسرةَ إلى أقصى مدى!

- أنت هنا تُعالج سـكراتِ الموتِ، وتعيـش غُصَصَه، وتلقى آثارَه، وعلى مدِّ بصرك وفودُ الاستقبال الكبرى، هناك



على مسافةٍ من جَسَدِك ملائكةٌ من السَّماء بيضُ الوجوه، كأن وجوهَهم الشمسُ، معهم كفن من أكفانِ أهل الجنة، وحَنوط من حَنوط الجنة، ينتظرونك ليحسنوا وِفادتك وتكريمك، وصناعةِ مشاهد وخواتيم مستقبلك الكبير.

المدهش أنَّ مَلَك الموت يُسَلِّيك في الوداع، ويُبَشِّرك بالنِّهايات، ويُلقي في روعك مباهجَ النهايات: «**ويَجِيءُ مَلَكُ الموتِ حتَّى يجلسَ عند رأسِه، فيقولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إلى مغفرةٍ مِنَ الله ورضوانٍ**»! ثم ماذا بعد هذه المعنى الكبير؟!

- يأتي هذا المعنى من مَلَك الموت، فيجعل تلك الرُّوحَ تخرج في أسهل وأبسط وأيسر خروجها على الإطلاق، «**فتخرجُ فتسيلُ كما تسيلُ القطرةُ من فِي السِّقاءِ**»! كالقطرة التي تخرج من فم إنائها لا فرق.

- ثم يعقبه مشهدٌ آخرُ أكثر جمالاً ودهشة: «**حتَّى إذا خرجتْ روحُه، صلَّى عليه كلُّ مَلَكٍ بين السَّماءِ والأرضِ، وكلُّ مَلَكٍ في السَّماءِ، وفُتِحت له أبوابُ السَّماءِ، ليس من أهلِ بابٍ إلَّا وهم يَدْعُونَ الله أن يعرُجَ بروحه من قِبَلِهم**»! وهل بعد هذا الرِّضا من رضا؟! وهل رأيتَ مشهداً يجلبُ الطُّمأنينةَ لصاحبه كهذا المشهد؟!

- ثم يأتي مشهد ثالث: «**يخرجُ منها كأطيبِ نفحةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ على وَجْه الأرضِ**»، قال: «**فَيَصْعدون بها، فلا يَمُرُّون على**



مَلَأ مِنَ الملائكــةِ إلّا قالوا: ما هــذه الرُّوحُ الطَّيِّــبُ؟ فيقولون: فُلانُ ابنُ فُلانٍ بأحسنِ أسمائِهِ الَّتي كانوا يُسَمُّونه بِها في الدُّنيا»!

- ثم تعود الرُّوح بعد هذه الجولة إلى الجســد، وتبدأ فصولٌ جديدة في النَّعيم في مشاهد القبر: «فَيُنادي منادٍ من السَّماء: أَنْ قد صَدَقَ عبدي، فأفْرِشُــوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وألْبِسوه مِنَ الجَنَّةِ، وافتحوا له باباً إلى الجَنَّةِ، قال: فيأتيهِ مِن رَوحِها وطِيبِها، ويُفْسَــح له في قبرِهِ مدَّ بَصَرِه، ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوَجْه، حَسَنُ الثِّياب، طَيِّبُ الرِّيح، فيقول له: أَبْشِرْ بالَّذي يَسُرُّكَ، أَبْشِرْ بِرِضوانٍ مِنَ الله، وجنَّاتٍ فيها نعيمٌ مقيمٌ، هذا يومُك الَّذي كنتَ تُوعَدُ، فيقول له: وأنت فَبَشَّرَكَ الله بخيرٍ، مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّــذي يجيءُ بالخَير، فيقولُ: أنا عملُكَ الصَّالِحُ، فواللهِ ما علمتُكَ إلّا كنتَ سَريعاً في طاعةِ الله، بطيئاً في معصيةِ الله، فجزاكَ اللهُ خيراً. ثمَّ يُفتحُ له بابٌ مِنَ الجَنَّةِ، وبابٌ مِنَ النَّارِ، فَيُقــال: هذا منزلك لو عصيتَ الله، أَبْدَلَــكَ اللهُ به هَذا، فإذا رأى ما فــي الجَنَّةِ، قالَ: ربِّ عَجِّل قيامَ السَّاعَةِ كيما أرجعَ إلى أهلي ومالي»!

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!





الفصلُ الثالثُ

نعيمُ القُبور



١

أَفْرِشوهُ من الجَنَّة

• في حديث البراءِ [مسـند أحمد: ٢٨٧/٤]: الَّذي مرَّ طرفٌ منه في المبحث السَّـابق، تنتهي رحلةُ الرُّوحِ إلى القبر، فيقال له: «أعِيدوه إلى الأرضِ، فَيُـرَدُّ إلى الأرضِ، وتُعاد روحُه في جَسَده، فيأتيه مَلَكانِ فَيُجْلِسانِهِ، فيقولانِ له: من ربُّك؟ فيقول: ربِّيَ اللهُ، فيقـولان: ما دِينُكَ؟ فيقول: ديني الإسـلامُ، فيقولانِ له: ما هذا الرَّجُلُ الَّـذي بُعث فيكم؟ فيقولُ: هو رسـولُ الله، فيقولانِ له: وما يُدْرِيكَ؟ فيقولُ: قرأتُ كتابَ الله، فآمنتُ به وصدَّقتُ.

فَيُنادي منادٍ من السَّماء: أنْ قد صَدَقَ عبدي، فأَفرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وأَلْبِسُـوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وافتحوا له باباً إلى الجَنَّةِ، قـالَ: فيأتيه مِنْ رَوحِها وطِيبِها، ويُفْسَـحُ له فـي قَبْرِه مَدَّ بَصَرِهِ، ويأتيه رجلٌ حَسَـنُ الوَجْهِ، حَسَـنُ الثِّيابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فيقولُ له: أَبْشِرْ بالَّذي يَسُـرُّكَ، أَبْشِرْ برضوانٍ مِنَ الله، وجَنَّاتٍ فيها نعيمٌ مُقيمٌ، هذا يومُك الَّذي كنتَ تُوعَدُ، فيقولُ لـه: وأنتَ فَبَشَّـرَكَ اللهُ بخيرٍ، مَنْ أَنْـتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذي يجـيءُ بالخَيْرِ، فيقولُ: أنـا عملُكَ الصَّالِحُ،



فواللهِ ما عَلِمْتُكَ إلَّا كُنتَ سَـريعاً في طاعةِ الله، بطيئاً في معصيةِ الله، فجزاكَ اللهُ خَيْراً، ثُـمَّ يُفتَحُ له بابٌ مِنَ الجَنَّةِ، وبابٌ مِنَ النَّارِ، فَيُقالُ: هذا منزلُكَ لو عصيتَ الله، أبْدَلَكَ اللهُ به هَذا، فـإذا رأى ما في الجَنَّةِ، قـالَ: ربِّ عَجِّلْ قيامَ السَّاعَةِ كيما أرجعَ إلى أَهْلِي ومَالِي».

• كم هي المرَّاتُ التي شاركتَ فيها دفنَ بعض أهلك وولدك وصديقك، وأحبِّ النَّاس إليك، ثم عُدْتَ من تلك المقابـر وفـي قلبك ومشـاعرك همـومُ الحيـاة؟ تُرى ما حسـاباتك التي أخذتْ حظّاً من مشـاعرك؟ وما الذي يجري في تلك اللَّحظات في نفسك؟ كم هي الأسئلة التي تحاصرك وأنت تُوسِّده التُّرابَ، وتُهيل الباقي عليه، وتُودِّع تلك المقابرَ بعد لَحَظات؟

- تخيَّلْ أنَّـك أنت الَّذي ودَّعتَ الحيـاةَ، وأنت الَّذي تركتَ دُنياك، وأنت الَّذي تُوَسَّـد في التُّراب، وأنت الَّذي تقف وجهاً لوجـه مع أحداث الآخرة وفـي أوَّل صورها وأحداثها. ماذا لو قيل لك: إنَّما ينتظـرك النَّعيم؛ ينتظرك النَّعيم بكامل فصوله العذبة، وأحداثه المدهشة، ويسقيك صنوفاً من الحياة لم تمرَّ عليك في دنياك البتة؟!

- دعنا نبدأ، نخبرك ماذا يلقى المؤمن الَّذي تركتَه في قبره! ونروي لك من حديث رسولك ﷺ ما يجري له من



مشاهد الكرامة والرِّضا بين يدي الله تعالى في قبره وأول منازل آخرته:

«فَيُنادِي منادٍ من السَّماء: أنْ قد صَدَقَ عبدي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وافتحوا له باباً إلى الجَنَّةِ، قالَ: فيأتيه مِنْ رَوحِها وطِيبِها، ويُفْسَحُ له في قَبْرِه مَدَّ بَصَرِه، ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيابِ، طَيِّبُ الرِّيح، فيقولُ له: أَبْشِرْ بالَّذي يَسُرُّكَ، أَبْشِرْ برضوانٍ مِنَ الله، وجَنَّاتٍ فيها نعيمٌ مُقيمٌ، هذا يومُك الَّذي كُنْتَ تُوعَدُ، فيقولُ لـه: وأنتَ فَبَشَّرَكَ الله بخيرٍ، مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذي يجيءُ بالخَيْرِ، فيقولُ: أنا عملُكَ الصَّالِحُ، فواللهِ ما عَلِمْتُكَ إلَّا كُنْتَ سَريعاً في طاعةِ الله، بطيئاً في معصيةِ الله، فجزاكَ اللهُ خيراً، ثُمَّ يُفْتَحُ له بابٌ مِنَ الجَنَّةِ، وبابٌ مِنَ النَّارِ، فَيُقالُ: هَذا منزلُكَ لو عصيتَ الله، أَبْدَلَكَ الله به هَذا، فإذا رأى ما في الجَنَّةِ، قالَ: ربِّ عَجِّلْ قيامَ السَّاعَةِ كيما أَرجعَ إلى أَهْلِي ومَالِي».

- تخيَّلْ: تُدخل قبرك، حفرة صغيرة، ويُهال عليك التُّراب، ويُودِّعك الأهلُ والأصحاب، ثمّ تجري لك هذه المشاهد الكبرى في ذلك المكان: «فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وافتحوا له باباً إلى الجَنَّةِ»!





- ولعلك تسأل عن وحدتك في قبرك، ومن سيأتيك، وكيف ستكون لحظاتك وأيامك..

ويخبرك الوحيُ بأن عملك الصَّالح يتحوَّل إلى صديق وصاحب في ذلك المكان: «**ويأتيهِ رجلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فيقولُ له: أَبْشِرْ بالَّذي يَسُرُّكَ، أَبْشِرْ برضوانٍ مِنَ اللهِ، وجَنَّاتٍ فيها نعيمٌ مُقيمٌ، هَذا يومُك الَّذي كُنْتَ تُوعَدُ، فيقولُ له: وأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللهُ بخيرٍ، مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوجْهُ الَّذي يجيءُ بالخَيْرِ، فيقولُ: أنا عَمَلُكَ الصَّالحُ**».

- من مباهج هذه الخواتيم في قبرك: تلك الأماني الَّتي تفيض بها مشاعرُك، وتنداح من لسانك، وتسأل الله تعالى مُلِحّاً أن يعجِّل لك بها، ويقرِّب مسافاتِها.. «**فإذا رأى ما في الجَنَّةِ، قالَ: ربِّ عَجِّلْ قِيامَ السَّاعَةِ كيما أرجعَ إلى أَهْلِي ومَالِي**»!

- **لو أنَّ عاقلاً قرأ هذه المشاهد في رحلة وداعه لدنياه، أو رحلة بعض أهله وأصحابه الَّذين هم على جادَّة الطَّريق؛ لغمرته مشاهدُ الأفراح إلى أقصى مدى!**



أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!



٢

كنومِ العَرُوس

• في «سنن الترمذي» [١٠٧١]: من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ المؤمن إذا أُدخل قبره، وسأله المَلَكان، ووفِّق في الإجابة، يقولانِ له: «**قد كُنَّا نعلم أنَّك تقولُ هذا، ثم يُفْسَحُ له في قبره سَبعون ذِراعاً في سَبْعينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ له فيه، ثُمَّ يقالُ له: نَمْ، فيقولُ: أرجِعُ إلى أهلي فأخبرُهم؟ فيقولانِ لَه: نَمْ كنومَةِ العَروسِ الَّذي لا يوقِظُه إلَّا أحبُّ أهلِهِ إليه، حتَّى يبعثَه الله تعالى من مضجعِهِ ذلك**».

ـ إذا أردتَ أن تقرأ فصولاً من نهايات السُّعداء، وكراماتِ المُتَّقين، وخواتيم المؤمنين المتَّقين، فاقرأ هذا الفصلَ بإمعانٍ: «**ثمَّ يُفْسَحُ له في قبره سَبْعُون ذِراعاً في سَبْعينَ، ثمّ يُنَوَّر له فيه، ثم يقالُ له: نَمْ**» يتحوَّل ذلك الضِّيقُ إلى سَعَةٍ، ويتغيَّر ذلك الظَّلام إلى نورٍ، وتنتهي فصولُ القلق والحيرة والخوف، إلى أمن وراحة وطمأنينة ونوم! وليس أي نوم، وإنما نوم العرسان في أول مشاهد تلك المباهج في حياتهم.





- **إنَّك حين تُودِّع من تقبره، تتوسَّع لديك صورُ الوحدة والغربة، والبُعد والفراق،** وتتخيَّل مَنْ تحبُّ في غياهب الظلام، ولا سبيل إلى غير تلك الصُّور التي تحجب كلَّ فَأْلٍ، وتعود بك إلى حال البؤس والفراق والآلام، وحين تقرأ بعضاً من هذه الفصول التي يتحدَّث بها رسولُ الله ﷺ عن ذلك المؤمن في ذلك المكان، تعود تستنطق الحقائق: «**ثُمَّ يُفْسَحُ له في قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِراعاً في سَبْعينَ، ثمّ يُنَوَّرُ له فيه**» فتعود إليك الحياة من جديد.

يمكنك الآن أن تقيس المسافةَ، وتقف على حدودها بنفسك، وتقارن بين حجم القبر الَّذي ألقيتَ فيه مَنْ تحبُّ، وودَّعتَه وآلامُ العمر في قلبك ومشاعرك، وبين السَّبعين متراً التي سيبقى فيها من ودَّعته ما بقيتِ الدُّنيا.

دَعْني أخبرك أنَّ المسافة التي ستقضيها ما بقيتِ الدُّنيا في باحةٍ لم تسكنها أنت وأسرتك كاملة من ميلادك إلى وفاتك! وكلَّ غرفكم التي توزَّعت على أفراد أسرتك في البيتِ الواحد، إنَّما هي جزء بسيط جدّاً من تلك المساحة التي يبقى فيها ذلك الحيُّ بعد توديعه لدنياه، وإقباله على أُخراه!

مسافة سبعين متراً تشعُّ فيها الأنوار، وتجري فيها المباهج، وتتعدَّد فيها صورُ الجمال.. وثَمَّةَ بابٌ مفتوحٌ





إلى الجَنَّةِ، تأتـــي منه مباهج اللَّـــذَّات على صاحب تلك المساحة، ويُســاكنه فيه عملُه الصَّالح في صورة رجل في أبهج صورة، وأجمل ريح، وأدهش لقاء.. وليس هذا فقط! بل يُفتح له بابٌ آخر إلـــى النار؛ يرى صورها، ولا يصيبه من خلاله ســوءٌ، وإنما ليَغْتَبِط كيف جــاوز هذه، وصنع لنفسه الحياة، ونال هذه الخواتيم في النِّهايات!

أجزم يقينــاً أنَّك مررتَ ببيوت واســعةٍ جدّاً، وتمتلئ بالحدائق والمناظر التي تصنع واقعَــك، وتُبهج خاطرَك، وتأسر فؤادَك، وتكتب في مشاعرك ألف معنى، وأجزم في المقابــل أنَّ كلَّ الصور التي مرت بك هي لا شـــيء أمام هذه الصورة التـــي يحكي النَّبيُّ ﷺ هنا بعض مشـــاهدها ومباهجها، فضلاً عن كامل الصورة، فَأَرْعِ سمعَك لِمَا في هذا الحديث، وقارن بين مشـــهدٍ صَنَعَـــهُ المخلوق، وبين مشاهد من صُنْعِ الله تعالى!



- المدهـــش: حتَّى النَّـــوم لا يُشـــبهه شـــيءٌ إلَّا نوم المنعَّمين فحســـب، نوم العُرســـان الَّذي يعرفه كلُّ من مرَّ بهذا المعنـــى، وذاق من أحداثه وآثـــاره ما يجري فصول الحياة في قلبه ومشاعره.



- وإذا كانت هذه مشـــاهدُ الرحلة، وبداياتُ الطريق، وبعض الجزاء في أولـــه؛ فكيف بالنِّهايـــات التي تجري فصولُها بين يدي الله تعالى، وفي مشاهد الكرامات، وفي ظلال الجِنان؟!

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *









٣
ما قِبَلي مَدْخَل

• **لن تتوقَّع أثــرَ العمل الصَّالح علــى حياتك، إلَّا إذا أدركتَ ما يُصنع لك في قبــرك، ويكتب لك من فأل في حياتك في الدَّارين.**

لن تدرك ذلك حتى تقرأ حديث نبيِّك ﷺ وهو يصف لك آثار العمل الصَّالح، وكيف أنها تَفزع إليك في أحلك الظروف، وأحوج الأوقات.

• أخرج ابن حبان [الإحسان: ٣١١٣، وحسَّن إسنادَه شعيب الأرناؤوط]: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**فإنْ كانَ مُؤمناً كانتِ الصَّلاةُ عند رأسِــه، وكان الصِّيام عــن يَمِينِه، وكانتِ الزَّكاةُ عن شِــماله، وكان فعلُ الخيراتِ مــن الصَّدَقةِ والصِّلةِ والمعروفِ والإحسانِ إلى النَّاس عند رِجْلَيْهِ**» وكل واحدة منها تقول إذا أُتي الميت من جهتها: «**ما قِبَلِي مَدْخَلٌ**».

هل تخيَّلْــتَ قبرَك؟ هــل تأمَّلْتَ في ســعته وضيقه، وظلامه ونوره، ووحدته وصحبته؟ أجزم يقيناً أنك لا ترى ســوى الضيقِ والظَّــلامِ والوحــدة، والســؤال والجزاء





والحساب على كلِّ ما فات، ولعلَّ حالةً من اليقين لديك أنَّه ليس إلَّا هذه الصور التي تُنبئ عن أحداث البدايات، وتتساءل في مرات كيف تكون النهايات؟

• **دعني أدعوك في هذه المساحة إلى بعض مشاهد الكرامات**، ودعني أريك بعضَ حسنات جهدك وعرقك، وتعبك وعنائك، وكيف تحوَّل ذلك الجهدُ والعرقُ والعناءُ إلى فيوضٍ من رحمة الله تعالى بك، وفي أحوج الأمكنة إلى ذلك.

- تُوضع في قبرك، ويُهال عليك التُّراب، ويودِّعك أهلُك، وينصرف النَّاس من حولك، وتنقطع علائقك بالدُّنيا كلِّها، ثم تبدأ رحلة السَّعادة في ذلك القبر، وتنهال عليك الكراماتُ، وتبدأ فصول الحياة المبهجة في أدهش وأرقى وأعظم معانيها.

- تأتي الصَّلاةُ أولاً وتقف عند رأسك، ويأتي الصَّومُ ويقف عن يمينك، وتأتي الزَّكاةُ عن شمالك، وتأتي بقية الأعمال من الخيرات: من الصَّدَقةِ والصِّلَةِ والمعروفِ والإحسانِ إلى النَّاس عند رجليك، ثم تُصبح محروساً من أيِّ طارق من كلِّ جهاتك، وتُمسي مكلوءاً بعناية الله تعالى ورحمته، وتبدأ فصول الجمال في قبرك، وتبدأ رحلة المباهج في عمرك من جديد.





- تخيَّلْ أنَّك كنتَ في صحراء مليئة بالدوابِّ والهوامِّ، وكنتَ وحيداً والظَّلام قد خَيَّم عليك، وتركك رفاقُ الطريق، وبدأت مشـــاهدُ الظَّــلام بــكلٍّ ما فيها من خـــوف وقلق واضطراب تأخذ حظوظَها من نفســـك ومشاعرك، وإذا بك فجأة وأنت في وســـط هذه المخاوف، وقـــد انجلى ذلك الظَّـــلام، وبين يديك جمـــوعٌ من الرِّفـــاق، وتحوَّلت تلك المخاوفُ والقلقُ والاضطرابُ إلى سكينةٍ وأمن وطمأنينة!

ماذا لو قيل لك: حدثنا عن نفسك قبل تلك المشاهد وبعدها؟ صِفْ لنا بعضَ مشاعرك في الحالين، ثم قيل لك في المقابل: ما تلقاه فـــي قبرك من المباهـــج بعد دفنك ووداعك أعظـــم وأدهش ألفَ مرَّةٍ مـــن كلِّ صور الأفراح التي تحقَّقت لك، وجرى نعيمُها في قلبك ومشاعرك حين جرى عليك ذلك الحال وأنت في وسط الصحراء!

- **ثم ماذا؟**

تحوَّل القبرُ إلى قصور، وانجلى ظلامُه إلى نور، وتبدَّدت وحدته إلى صحبة ورفقة نعيـــم، وتحلَّق حولَك الحُرَّاسُ من كلِّ مكان، وتعـــدَّدت فيوضُ نِعَم الله تعالـــى، وأقبلت عليك الحياةُ، ورأيتَ من مشاهد الجنان عبر ذلك الباب ما يجعلك تقول: يا ربِّ أقمِ السَّاعةَ، يا ربِّ أقمِ السَّاعةَ!





- ماذا لو عرف أهلُك، والَّذيـن اجتاحهم الحُزنُ على فراقك، وأظلمـتِ الحياةُ فـي وجوههم بمجـرَّد موتك وفراقك؛ عن هذه المعاني التي تبدأ معك بمجرَّد إدخالك لقبرك وفراقك لدنياك؟!

- ماذا لو تخَيَّل كلُّ واحد من أهلك أنَّهم وضعوك في قبر، وسـيتحوَّل إلى قصر، وأهالوا عليـك التُّراب وليس عليك منه في الحقيقة شـيء، وتركوك وحيداً في الظاهر وأنت في أنعم وأدهش صُحبة فـي ذلك المكان، وبدأت رحلة نعيم وليس فيها بعد ذلك اليوم شقاء؟!

- ماذا لو تأمَّلتَ أنت في هذه المعاني التي يسـردها عليك رسولُ الله ﷺ، ويحكي لك مواقفها عند ذلك الفراق وفي تلك المساحات؟!

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!





الفصلُ الرَّابعُ

مواقفُ النَّعيم في ساحاتِ القيامة



١

فطاشَتِ السِّجلَّات

• في «سُنَن التِّرمذيِّ» [٢٦٣٩، وصحَّحه الألبانيُّ]: من حديث عبد الله بن عَمْرٍو: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتي على رُؤوسِ الخَلائِقِ يوم القِيامةِ، فينشرُ عليه تسعةً وتسعين سِجِلّاً، كلُّ سِجِلٍّ مثلُ مدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يقولُ: أتُنْكِرُ مِنْ هذا شيئاً؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظونَ؟ قالَ: لا، يا ربِّ، فيقولُ: أَلَكَ عُذْرٌ أو حَسَنَةٌ؟ فيبهتُ الرجل، فيقولُ: لا، يا ربِّ، فيقولُ اللهُ: بَلَى، إنَّ لكَ عندَنا حَسَنةً، فإنَّه لا ظُلْمَ عليكَ اليومَ، فيُخْرِجُ له بطاقةً فيها: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، فيقولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فيقولُ: يا ربِّ، ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجِلَّاتِ؟! فيقالُ: إنَّكَ لا تُظْلَمُ، قال: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ، والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشتِ السِّجِلَّاتُ، وثَقُلَتِ البِطاقَةُ، ولا يثقلُ شيءٌ مع اسمِ اللهِ ﷻ».

• كم مرة وقفتَ أمام لجنة امتحان تنتظر نتيجة ذلك الاختبار؟ وكم مرة كنتَ في طوابير الانتظار من أجل تلك





النتائج؟ ماذا لو قيل لــك: إنَّه لم يبقَ علــى إعلان تلك النتائج إلَّا ساعةُ زمن فحسب؟

العجيب أنَّ هذه النتائج مهمــا كانت في واقع صاحبها لا تعدو مجرَّد محاولة في عرض هذه الحياة في دراســة أو وظيفة، وثمة مُحاولات كثيرة ومتعدِّدة للتعويض، وهي مع كلِّ ما تصنع لا تعدو أن تكون علــى لَعَاعٍ عاجلٍ يمكن أن يُســتدرك من مكان آخر، ومع كل هذه النتائــج التي تراها عاديــة تصنع مــن القلــق والترقُّــب، وتترك مــن الأفراح والأحزان في واقع أصحابها شيئاً كبيراً؛ فكيف بمواقف بين يدي الله تعالى والنتائج مجهولة، والنجاح ليس بعده شــقاء البتة، والإخفاق ليــس وراءه أيُّ نجــاح ولا فرصة لتكرار المحاولة، وانتهت القصة بكامل فصولها وأحداثها؟!

• تخيَّلْ رجــلاً يقف بين يدي الله تعالــى، في مواقف الجزاء والحساب، وبين يديه جنَّة ونار، والنهايات أكبر من أن يكتب عنها قلــم، وإذا بالسِّجِلَّات التــي دُوِّنت فيها الخطايــا تُلقى بين يديــه، وعاد الزمانُ دورتَــه من جديد، وتكشَّفت لحظاتُ السُّوء، وتبدَّتِ الخطايا، وظهر كلُّ شيء.

ـ تسعة وتسعون سِجِلّاً، والسِّجِلُّ الواحد منها على مدِّ بصرك، وتُنشــر علــى رؤوس الخلائق، وكلُّها ســيِّئات



وخطايا السنين التي مرَّت في عمرك، والأحداث التي كوَّنَتْها الغفلةُ في أيام دنياك، وأنت في الوقت ذاته أمام الحَكَمِ العَدْلِ الَّذي لا يَظْلِمُ شيئاً؛ فتأهَّل لتلك النهايات.

- يقف ثم يرى كلَّ تلك السِّجِلَّاتِ بكلِّ ما فيها من أخطاء وعثرات، ثمّ يُقرَّر عليها: «**أَتُنْكِرُ مِنْ هذا شيئاً؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظونَ؟**» فيأتي جوابُه معترفاً ومقرّاً بكلِّ تلك الأحداث التي جرت منه، قال: «**لا يا ربِّ**»، ثمّ يُعاد عليه السُّؤال مرة أخرى: «**ألك عُذْرٌ أو حَسَنَةٌ؟**» فيبهت ولا يجد جواباً، وأي حسنة يمكن أن تقف أمام هذه السِّجِلَّات والواحد منها مدُّ البصر!

- ماذا لو أنك أنت بنفسك الَّذي تقف هذا الموقف! وتقفه أمام ربِّك ومولاك! وترى كلَّ تلك السِّجِلَّاتِ بكلِّ ما فيها، ثمّ لا تجد مخرجاً منها، وتعترف بها وبكلِّ ما فيها من تفاصيل، ولا تجد عُذراً لجوابٍ عن شيء منها؛ فكيف بها مجتمعةً في مشاهد العَرْض والحِساب؟!

- ماذا لو طُلب منك بعد أن جرى إقرارك: أنْ تبوحَ بشيء من حسناتك وأفعالك التي تُعارض بها هذه السِّجِلَّات، ثمّ لا تجد كذلك شيئاً يَصلُح للعَرْض، ولا حسنة تصلح للموازنة في تلكَ الموازين؟!





- ثم يُقال لـــك بعد كلِّ هذه المواقـــف، وبعد عَرْض سِـــجِلَّات الأخطاء: إنَّ لك عندنا حســـنةً واحدةً، لا ظُلْمَ عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: «**أشهد أنْ لَا إِلٰه إِلَّا الله، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه**».

فيأتي السُّؤال الطبيعي في مثل هذه المواقف: «**ما هذه البطاقةُ مع تلك السِّجِلَّاتِ؟!**».

ثم يجري الله تعالى له فصول الحياة بعد ذلك: «**فتوضع السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ، والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشت السِّجِلَّاتُ، وثَقُلَتِ البطاقةُ، ولا يثقلُ شيءٌ مع اسمِ الله** ﷻ»!

- **المكانُ ســـاحاتُ القيامة، وهذه مواقف الحســـاب، والموازين بين يدي الله تعالى، والنتائجُ نهائية**، وقد نشـــر بيـــن يديك سِـــجِلَّات بخطايـــاك ومعاصيـــك وعثراتك، وعثـــرات الطريق عبر زمن طويل من عمـــرك، ثم مع كلِّ ذلك يُقال: لك حســـنة تعدل كلَّ تلك السَّـــيِّئات، حسنة تعادل كلَّ بحور سيِّئاتك وأوزارك، وتنقلك في الوقت ذاته إلى الجنان، وتكتب لك خواتيم الخير.

ما أرحمَ اللهَ تعالى! وما أوسعَ حِلْمَه! وما أعظمَهُ وأجلَّهُ!

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!





٢

سترتُها عليكَ، وأنا أغفرُها لك اليوم

• في «الصَّحيحَينِ» [البخاري: ٢٤٤١، ومسلم: ٢٧٦٨]: من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّه عرض له رجلٌ، فقال له: كيف سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقولُ في النَّجْوى؟ فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «إنَّ اللهَ يُدْني المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَليهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فيقولُ: أتَعْرِفُ ذَنْبَ كذا؟ أتَعْرِفُ ذَنْبَ كذا؟ فيقول: نعم، أَيْ ربِّ، حتَّى إذا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، ورأى في نفسِه أنَّه هَلَكَ، قال: سَتَرْتُها عليكَ في الدُّنيا، وأنا أَغْفِرُها لكَ اليومَ، فيُعْطَى كتابَ حسناتِهِ».

• هل تعرف النَّجوى؟ هل دار في نفسك يوماً أن تتعرَّف على معنى ذلك؟ ماذا لو قيل لك: إنَّها حوار بين الله تعالى وعبده، ونقاش بين خالق ومخلوق، النَّجوى حديث سرٍّ بين اثنين، وهي هنا ما يقع بين الله تعالى وبين عبدٍ من عبيده يوم القيامة، حين يخلو الله تعالى بعبده، فيقرِّره بأعماله وما جرى منه في ساحات الدُّنيا، ولك أن تتأمَّل وتُطيل النَّظرَ في لحظة من لحظات القيامة وأنت وربُّك جل في علاه في ذات الموقف!

ماذا لو كنتَ يوماً في أسرتك، أو وسط مجموعة من الزُّملاء، أو كنتَ في مشهد عام، ثمّ إذا بصديق أو قريب





يناديك من بيــن كلِّ القاعدين، ويخرج بك إلى زاوية من المكان ليُحَدِّثَك بحديث، ويُفضي إليك سرّاً، ويسرد لك فصولَ حكاية من الحكايات؟

هل تستطيع تلك اللَّحظةَ أن تصفَ شعوركَ؟ هل يمكن أن تُحَدِّثنا عــن خَفَقان قلبــك، وخَلَجات مشــاعرك وأنت تنتظر ما يقال لك في تلك الزاوية؟ ثم ماذا لــو كانت تلك النَّجوى الَّتي دارتْ بينك وبين صديقك وقريبك فيها كشفٌ لأسرارك، وإظهــارٌ لأخبارك المســتورة، ونقلٌ مباشــر عــن بعض تلك المساحات الَّتي كنتَ تتمنَّى يوماً من الأيام ألَّا يعرفَها أحدٌ من العالمين، وإذا بها وجهاً لوجه تُعرض وبشيء من التفاصيل؟!

• **دَعْك مــن كل تلــك الصور** التــي قُمــت فيها من مجلســك، وتركتَ رفاقك، وأقبلتَ على تلك الزوايا التي دعاك إليها وقلبك يخفق، ثم وقفتَ على الحقيقة بتفاصيلها، ودعك ثانية وثالثة وعاشــرة من تلك اللَّحظة التي انكشف فيها أمرُك، وبانت فيها صــورُ الحقيقة كما هي في واقعك، دعك من كلِّ ذلك رغم مرارته وقســوة أحداثه وما فيه من آلام؛ تعال لأنقلك إلى صورةٍ هي أكبر من هذا ألف مرَّة.

- **أنت الآن مع ربِّــك وجهاً لوجه**، وقــد ألقى إليك بكنفه، وســترك عن كلِّ من حولك، وبدأ الحديث معك



عن أخطائك الماضية، وخلواتك السَّالفة، ومعاصيك التي تجرَّأتَ بها عليه، وخالفتَ فيها منهجَه، وأبيتَ إلَّا أن تكون عاصياً ومُسرفاً! المدهش في هذه النَّجوى: أنَّه يُقَرِّرك بكلِّ ذنب: «**أتعرف ذنب كذا؟**»، «**أتعرف ذنب كذا؟**»، فلا تملك حينها إلَّا أن تعترف بالحقائق المُرَّة تباعاً، ولا تزيد على أن تقول: «**نعم، أيْ ربِّ**».

- **تخيَّلْ وبعمق تلك النَّجوى والمسارَّة بينك وبين ربِّك**، وتخيَّلْ في المقابل تلك الذنوب والأخطاء والمعاصي التي عُرضت عليك بأيامها ولحظاتها وأحداثها وكأنَّك تراها رأي عين، وتخيَّلْ كذلك النَّتائج التي تنتظرها بعد أن اعترفتَ بها مجتمعة، وأقررتَ بكلِّ ما عُرض عليك منها، ثمّ حَدِّثني بعد تخيُّلك الطويل عن مشاعرك وأنت تنتظر ما يقال لك، وما يؤمر به عليك، وما تجري به فصول النهايات في تلك اللحظات.

- **ثم ماذا؟**

بعد أن تُقِرَّ بتلك الذنوب، وتعترف بتلك الخطايا، وتؤمِّن على كلِّ ما عُرض عليك، وتنتظر أسوأ النِّهايات، وأعظم العقوبات، وأخطر الخاتمات؛ يأتي ربُّك تعالى فيقول لك في أعظم المواقف وأجلِّها وأكبرها على الإطلاق: «**سترتُها عليك في الدُّنيا، وأنا أغفرُها لك اليوم**»!



قل لي بربِّك في تلك اللَّحظة التي تسمع فيها «**سترتُها عليكَ في الدُّنيـــا، وأنا أغفرُها لك اليوم**»: كيف ســـتكون أفراحُ قلبك ومشـــاعرك؟ وكيف هي أحداث الجمال في روحك؟ وماذا عن النِّهايات التي لم تســـمع بها من قبل، ولم يمرَّ عليك شيءٌ منها في أيام دنياك؟!

- **تخيَّلْ أنَّ هذا اليوم ستجري فصولُ مشاهده بين يدي ربِّك في عَرَصات القيامــة**، وأنَّ أخطاءك التي وقعتَ فيها ســيجري عليها المشــهدُ ذاتُه، ثــم تؤول إلــى الغُفران، وســيتكرَّر على أذنك في أحوج مكانٍ لســماع الأفراح: «**سترتُها عليك في الدُّنيا، وأنا أغفرُها لك اليوم**».. وأجزم يقيناً أنــك تعرف النِّهايات التي ســتؤول إليهــا بعد هذا المشهد بتفاصيلها الكبرى في حياتك.

هل آمنتَ الآن أنَّ ربَّك يُحبُّك؟!

هل أيقنتَ أنَّك تتعاملُ مع ربٍّ رحيم؟!

هل أدركتَ أنَّه لا حاجةَ لربِّك بتعذيبك، وأنَّه لا تضرُّه معصيتُك، ولا تزيدُه طاعتُك؟!



أما قلتُ لك مراراً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!



٣

ثُلُثا أهلِ الجنَّة

• مَنْ أنتَ في ساحات القيامة غداً؟ ومن هي أمتك من بين أمم الأرض من فجر التاريخ إلى يوم القيامة؟

في مرات تُقام مسابقات، وتُشارِكُ فيها، وعلى قدر تلك الأعداد المشاركة يتحدَّد فوزُك من خسارتك، وربحُك من إخفاقك، ونجاحُك من فشلك، ففرقٌ كبيرٌ جدّاً بين سباقٍ أنت فيه تتمةُ المئة ويُراد تكريمُ ثلاثةِ متسابقين على أعلى حَدٍّ، وسباقٍ أنت فيه تتمةُ الخمسة أو العشرة؛ ففي السِّباق الأول سيتضاءل الأملُ لديك، وستقلُّ فرصُ الأمل إلى أدنى الصُّور، بخلاف السِّباق الآخَر الَّذي سيتضاعف فيه أَمَلُك بالفوز لقلَّة الأعداد المشاركة.

• ماذا لو قيل لك يوم القيامة: إنَّ الأعدادَ الكثيرةَ من الدَّاخلين للجنان هي من أُمَّة رسولنا ﷺ، وأكثر المتزاحمين على تلك الأبواب من تلك الأمة؛ أَلَا يزيد أَمَلُك، وتزدحم الفُرص بين عينيك، وتفتح عينك على نتائج الفوز والتكريم التي تراها أقربَ ما تكون إليك؟!



تعـــال معي في هـــذا المشـــهد الَّذي يعرضـــه عليك نبيُّك ﷺ، ويُحَدِّثك من خلاله على فواتح الأمل والتوفيق التي تنتظرك في ساحات القيامة ومواقف الحساب.

• في «سُـــنَن التِّرمـــذيِّ» [٢٥٤٦، وصَحَّحه الألبانـــيُّ]: من حديث بُرَيدةَ بن الحصيب: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أهلُ الجنَّةِ عشرونَ ومئةُ صَفٍّ، ثمانونَ منها مِنْ هذه الأُمَّةِ، وأربعونَ مِنْ سائِرِ الأُمَمِ**».

- كم هي الأُمَمُ الَّتي خلقها الله تعالى من فجر التاريخ إلى يومك هذا؟ وكم هم الرُّســـل الَّذين بعثهم الله تعالى لتلك الأُمَم من فجر التاريخ إلى زمان نبيِّنا ﷺ ؟

إذا أردت أن تتصـــوَّر حجـــمَ وجودك كفـــردٍ في هذه الأُمَّة، وحجمَ وجـــودك ضمن أُمَّةٍ من الأُمـــم؛ فلا بدَّ أن تأخذ جولةً فكريةً فســـيحةً جدّاً في عدد الخلائق والأمم الَّذين خلقهم الله تعالى إلى ختـــام هذه الأُمَّة؛ لتعرف قدر هذا الحديث الذي يُخبـــرك فيه النَّبيُّ ﷺ عن صفوف أهل الإيمان والنجاة في ذلك اليوم، مقابل صفوف تلك الأمم في الجانب الآخر.

- **يخبرك هذا الحديثُ عن صفـــوف أهل الجَنَّة**، وأنَّها عشرون ومئة صفٍّ، ويبقى الســـؤال: أين موقع هذه الأُمَّةِ





من تلك الأمم؟ أين موقع أُمَّةٍ قال الله تعالى فيها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟ أين موقعك أنت كفرد في أُمَّة ضمن أُمَمِ الأرض؟

- أجزم أنَّك حين تتخيَّل أعدادَ هذه الأمم، تضيق مساحةُ تفكيرك، ويضعفُ تفاؤلك، وتتقلَّص آمالُك إلى أقصى مدى، ولكنك حين تعود إلى قراءة هذا النَّصِّ النَّبويِّ الجليل: «**أهلُ الجَنَّةِ عِشرونَ ومئةُ صفٍّ، ثمانونَ منها مِنْ هذه الأُمَّةِ، وأَرْبعونَ مِنْ سائرِ الأُمَمِ**» تتضاعف فرصُ الأمل في حياتك، وتتشكَّل مساحاتُ الفأل في حياتك إلى أضعاف مضاعفة.

- **أنت وأُمَّتُك ثُلُثا أهل الجَنَّةِ يوم القيامة**، ثمانون صفّاً من مئة وعشرين، الكثرة الكبيرة من تلك الأمة التي أنت فردٌ منها، ومحمَّدٌ ﷺ هو رسولُها وإمامها في الدَّارين؛ فماذا تنتظر؟! ما الفُرص التي تزدحم أمامك؟! وجوانبُ الفأل الَّتي تتعدَّد في مواقف الحساب بين يديك، غيرُك ينظر لها من ثُقب إبرة، وأنت تراها من أوسع الأبواب..

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!



٤

لن نَعدِمَ خيراً مِنْ ربٍّ يضحك!

• تخيَّلْ أنَّ رسـالة وصلتك من المَلِك، وفيها طلبك للحضور مبكِّراً إلى قصره، وأنت تقرأ الخطاب، وإذا فيه نبرةٌ حادَّة، وربَّما وصلك بطرق فيها من القلق، والسؤال: ماذا فعلت؟ وهذا أول خطاب يصلُ من الدِّيوان الملكي، وقد تعود بالذاكرة إلى اسـتعادة عمرك الطويل، وتفاصيل حياتـك، وتتبـع اللَّحظـات والأمكنة ومسـافات الزمن والأصدقاء ومن التقيت بهم مؤخَّراً، وأين؟ وما الذي دار في تلك الاجتماعات؟

وما زالـت أحوال الخـوف والترقُّب بـك حتَّى حلَّ الموعدُ، ويمَّمتَ وجهَك إلى هناك، وفي الطَّريق وقبل أنْ تدخل زادتْ وتيرةُ الشعور بالخوف لتصرُّفات مَنْ حولك، ثم إذا بك تدفع بـاب الملك، فإذا به مع من حوله يتكلَّم ويضحك، ويمـزح ويداعب مـن حوله، وأجـواءُ الفرح مسيطرةٌ على ذلك اللِّقاء.

لو قلـتُ لك تلك اللَّحظـة: حَدِّثني عـن حال القلق والترقُّـب الذي حـلَّ بك من اسـتلامك للخطـاب إلى



دخولك إلى الملك، ثــمّ حَدِّثني عن الأمــن والطُّمأنينة والراحــة والاســتقرار التي ألقــت بظلالها علــى قلبك ومشاعرك حين وصلتَ إلى صاحب الطَّلب، ورأيتَه يمزح ويُفاكه من حوله ويضحك!

• روى ابن خزيمة [وحسَّــنه ابــنُ تيمية، وابنُ القيِّــم، والألبانيُّ: السلســلة الصحيحــة: ٧٣٦/٦]: عــن عائشــة رضي الله عنها، قالــتْ: قــالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ ليضحكُ من إياسةِ العبادِ وقنوطِهم، وقُرب الرحمةِ منهم**»، قلتُ: يا رسولَ الله، بأبي أنت وأمِّي، أَوَ يضحــكُ ربُّنا؟ قــالَ: «**إِيْ، والَّذي نفســي بيــده، إنَّه لَيَضحكُ**»، قالَ: فقلتُ: «**إذاً لَنْ يَعدِمَنا منه خيراً إذا ضَحِكَ**».

- يــا الله! «**إنَّ الله ليضحكُ**»! لو لم يكن في ســاحات القيامة كلِّها إلَّا هذا النَّصُّ الَّذي يبيِّن عن ضَحِكِ الله تعالى ضحكاً يليق بجلاله، لا يُشــابه ضحك المخلوقين؛ لكان كافياً عن كلِّ شــيء، ولذلك لا غرابة أن تصيبَ عائشــة الدهشة بعد ســماع هذا الحديث، فقالت: «**إذاً لَنْ يَعدِمَنا منهُ خيراً إذا ضَحِكَ**»!

- **على ماذا يضحك ربُّنــا تعالى؟ على يــأس العباد وقُنوطهم!** يضحــك على فَوات نصيــب الفَأل من قلوب هؤلاء المؤمنين بما عنده تعالى يوم القيامة! يضحكُ على



ضياع الأمل من مشاعر هؤلاء، حتَّى أصابهم اليأسُ، وألقوا بقلوبهم في مساحات القنوط.

- **كم من إنسان يعمل خطيئةً**، ويُصيب ذنباً، ويقع في معصية، ويبقى زمناً من عمره ينتظر عواقبها، ويخشى آثارها، ويظل مترقِّباً لأحداثها ما بقي العمر، وكلَّما مَرَّ بموقفٍ صعب، أو عثر في الطريق، أو أصابه مكروه، أو عرض له ما يكدِّر خاطره؛ عاد يائساً من الحياة، وأيقن أنَّ هذا هو بعض الجزاء العاجل لتلك الأخطاء، فضلاً عن وقوفه يوم القيامة بين يدي الله تعالى، وبينه وبين الله تعالى بعض من تلك الأخطاء والمعاصي والأحداث؟!

- **تخيَّلْ أنَّك تأتي يوم القيامة في ساحات الحساب والسؤال والجزاء**، والذي يتولَّى كلَّ ذلك هو ربُّك الَّذي يضحك من يأسك وقنوطك، وربُّك الذي يضحك من خوفك وقلقك، وربُّك الذي يضحك من فوات أرباحك من الفأل والأمل الذي ينبغي ألَّا يتخلَّف عنك.

- كم مرَّةً قرأنا وإياك حديث: «**وإن ربِّي غضبَ اليومَ غضباً لم يغضبْ مثله، ولن يغضب مثله**»، ولم نقرأ في الوقت ذاته أنَّه يضحك، وعلى ماذا يضحك؟ وتكتشف أنه يضحك على يأسك وخوفك وقنوطك من رحمته تعالى!



- كم مــرَّةً حفظنــا عن ظهر قلــبٍ مواقــفَ العذاب والجزاء، والنَّار والشقاء، ولم نحسب في المقابل مواقف الرَّحمة والجلال والجمال التي يصنعهــا ربُّك تعالى في مثل ذلك اليوم!

- لقد دُهِشَتْ أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها فوق العادة حين ســمعت النَّبيَّ ﷺ يقول: إنَّ الربَّ تعالى يضحك، فقامت متســائلةً مســتغربةً: «**يا رســول الله، بأبي أنت وأمِّي: أَوَ يضحك ربنــا؟**» فيأتي الجواب في أبهــج وأدهش معانيه على الإطلاق: «**إيْ، والذي نفســي بيده، إنَّــه لَيَضْحَكُ**»! فيلقي هذا الجوابُ سكينتَه على قلب أُمِّ المؤمنين، فتقول: «**إذاً لَنْ يَعْدِمَنا منه خيراً إذا ضَحِكَ**»!

- **تخيَّلْ أنَّك تقدم على ربٍّ يضحك**، وتقف بين يدي ربٍّ يضحك، والذي يتولَّى جــزاءك هو ذلك الربُّ الذي يضحك! ثم تخيَّلْ كم هي مســاحة عواقب ذلك الضحك عليك، وقد عشت زماناً طويلاً من عمرك في طاعته؟

لله ما أعذبَ فقهَ أمّ المؤمنين! وما أروعَ فهمَها! وما أجلَّ هذا التعجُّب الَّذي ألقتــه عقب ذلك الخبر، وعبَّرت به عن المشــاعر التي تَلَبَّســتْها حين ســمعت خبــر ضحك ربِّ العالمين! فقالت: «**إذاً لَنْ يَعْدِمَنا منه خيراً إذا ضَحِك**»!



- **حين تقرأ تلك النُّصوصَ الكثيـــرةَ الَّتي تُخبرك عن رحمةِ الله تعالى**، وتسوق لك مشاهدَ الحلم الذي يهبه الله تعالى لعباده، ومساحات التَّجاوُزِ والغُفران الَّتي يُكرم بها المؤمنين في ذلك اليـــوم، ثم تأتي هنا علـــى هذا النَّصِّ المشـــاعريِّ؛ **لا يزيـــدك إلَّا إيماناً ويقينـــاً بأنَّك بإذن الله تعالى إلى خير في النِّهايات.**

أما قلت لك يوماً:
أن يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *





﴿ ٥ ﴾

إنَّ اللهَ وَعدَني

• في «مُسند الإمام أحمد» [٢٢١٥٦، وصحَّحه شعيب الأرناؤوط]: من حديث أبي أُمامة الباهليِّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: «**إنَّ اللهَ وَعَدَني أن يُدْخِلَ من أمتي الجَنَّةَ سبعينَ ألفاً بغير حِسابٍ**»، فقالَ يزيدُ بن الأَخْنَس: واللهِ ما أولئك في أُمَّتِك إلَّا كالذُّبابِ الأَصْهَبِ في الذِّبَّانِ، فقال ﷺ: «**فإنَّ ربِّي قد وَعَدَنِي سبعينَ ألفاً، مع كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفاً، وزادَني ثلاثَ حَثَياتٍ**».

• ماذا لو أنَّ تاجراً وعدك مالاً! وأخبرك بأنَّه سيسدُّ دينك! وسيتولَّى عنك تلك الظروفَ البائسة، وسيقفل تلك الدُّيون من تاريخك، وسيُبْقِيك حُرّاً فيما بقي من أيام عمرك؟!

- ماذا لو أنَّ مسؤولاً وعدك بأن يُنهي معاملتَك، ويُجيب طلبك، ويقضي لك أمرك، ويحقِّق لك تلك الأماني التي تشتاق إليها في عمرك وزمانك؟!

- ماذا لو أنَّ مِلكاً أصدر مرسوماً ملكيّاً، وسمعه كلُّ مَنْ تحتَ ولايته، وأخبر فيه بأنه سيدفع مالاً، أو يفكُّ سجناء،





أو يُقيل عَثَرات، أو يُقصِّر مسافة قرار، أو يُؤجِّل حكماً، أو يُنهي قضية من القضايا العالقة في حياة الناس؟!

- لو أنَّك كنتَ مُحتاجاً لذلك المال الذي وعدك به التاجر، وتقف ظروفُك كلُّها على ذلك الوعد الذي وعدك به المسؤول، واستقبلت خبر ذلك المرسوم الملكي، وكنتَ واحداً من أولئك الَّذين يشملهم ذلك القرار.. كيف سيكون وقعُ تلك القرارات على قلبك ومشاعرك؟ كيف ستستقبل تلك الأحداث؟ كيف ستكون أفراح قلبك ومشاعرك بعد سماع هذه الأخبار التي تحقِّق لك حلولاً عاجلة وكاشفة لكلِّ ظروفك وأمانيك؟!

- إذاً كيف بكَ وأنت أمامَ وعدِ ربِّك لرسوله ﷺ: «**إنَّ الله وَعَدَني أنْ يُدخِل مِنْ أُمَّتي الجَنَّةَ سبعينَ ألفاً بغيرِ حسابٍ**»؟! ولو أنَّك تأمَّلتَ في الحديث، وأنَّ الله تعالى الذي وعد، ووعدُه لا يُخْلَف جلَّ في عُلاه، والوعدُ لأكرم إنسان عند ربِّه تبارك وتعالى؛ لأدركتَ مقامَ الحديث في قلوب المؤمنين.

- **ما هذا الوعدُ الَّذي وَعَدَه الله تعالى لنبيِّه ﷺ؟ ما طبيعتُه؟ ما علاقتُه بك؟** ما مساحةُ أرباحك منه؟ سَبعونَ ألفاً يَدْخلونَ الجَنَّةَ يوم القِيامة بلا حِسابٍ



ولا عقابٍ.. والأعذب والأدهش: «**أنَّ مع كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفاً، وزَادَني ثَلاثَ حَثَيات**».

مع كلِّ ألفٍ من تلك السبعين سبعونَ ألفاً أخرى، وليس هذا فحسب، بل وزاده على ذلك ثلاثَ حَثَيات!

سبعونَ ألفاً بغير حساب ولا عقاب! ومع كلِّ ألف **سبعونَ ألفاً**، و**ثلاث حَثَيات** من حَثَيات ربٍّ عفوٍّ كريمٍ منَّان!

كلُّ هؤلاء يدخلون الجَنَّةَ، ولا يُنظَر إلى سِجِلِّ أعمالهم، ولا يُعْرَضون للحساب، ولا يجري لهم حسابٌ في الموازين، وإنَّما يَهبهم الله تعالى بعضَ كراماته، ويسقيهم من مَعِين الحياة دون شيء.

- ماذا لو أنَّك كنتَ واقفاً يوم القيامة، ثم هيَّأ الله تعالى لك أن ترى تلك الأفواج التي تزدادُ ولا تنقصُ، وتكثرُ ولا تقلُّ، وهم طوابير في الطريق إلى الجنان، وبدون حساب، ولا عقاب، وأنت واحد من أولئك، وفي الطريق إلى أحلامك من هذا الوعد الكبير؟!

- ماذا لو أنك في اللَّحظة التي غمرتْك بمشاهدها تمَّ النِّداءُ عليكَ لتكون ضمن تلك الجموع المتَّجهة إلى الجنان، وبدون حساب ولا عقاب؟!





ـ ماذا لو تخيَّلتَ أنك لن تقــف في مواقف الجزاء، ولن تُسأل عن شيءٍ من تلك الأخطاء، ولن تمرَّ أعمالُك على موازين الأعمال، وإنَّما سيؤخذ بك إلى الجنان، إلى النِّهايــات من النعيــم المقيم، إلــى دار الكرامات، إلى الحياة السَّرمديَّة التي يقال لأبئس الناس في الدنيا بعد أن غُمس فيها غمسة واحدة: هل رأيتَ بُؤســاً قَطُّ؟ هل مرَّ بك بُؤسٌ قَطُّ؟ فيقول: لا والله، ما رأيت بُؤساً قَطُّ، ولا مرَّ بي بُؤسٌ قَطُّ!

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *



٦
شفاعـةَ لأُمَّتـي

• ماذا لــو أنك دخلــت مســابقةً من المســابقات، والمسؤول عن تلك المســابقة، ومن يُدير شأنها، ويُرتِّب أحدَاثها هو صاحبــك الَّذي لن يقدِّم عليــك أحداً مهما كانت عوارض الطريق؟

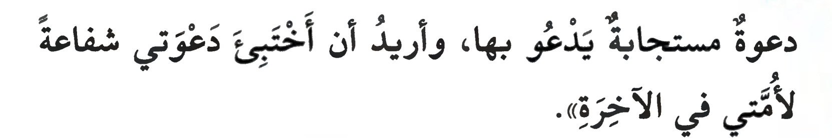
ماذا لــو أنك دخلتَ في السِّــباق علــى وظيفة، وقد رتَّبتَ من يقف معك وأنت تعلم قُدراته وطاقاته وإمكاناته على إقناع أصحاب القرار بذلك الرأي؟

تُرى كيــف ســيكون أملــك فــي الفوز فــي تلك المســابقات؟ ما حجمُ أحلامك في تلك المشــاركات؟ كيف هي توقعاتك للنهايات؟

تعالَ معي لأقصَّ عليك في السِّــياق ذاته، ولكن عن رسولك ﷺ، وأحكي لك أعظمَ وأجلَّ من تلك الوسائط التي تتَّخذها لبلوغ أمانيك في عرض هذه الحياة.

• في «الصَّحيحَيــنِ» [البخــاري: ٦٣٠٤، ومســلم: ١٩٨]: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: «**لكلِّ نبيٍّ**





دعوةٌ مستجابةٌ يَدْعُو بها، وأريدُ أن أَخْتَبِئَ دَعْوَتي شفاعةً لأُمَّتي في الآخِرَةِ».

- هل تعرف من هو محمَّدٌ ﷺ؟ هل تعرف من هو نبيُّك ورسولُك ﷺ؟ هل تعرف كرامةَ هذا النبيِّ الكريم عندَ الله تبارك وتعالى؟ للدَّرجة التي قالت عائشة رضي الله عنها يوماً: كُنتُ أغارُ على اللَّاتي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ للنَّبِيِّ ﷺ، فأقول: أَوَ تَهَبُ المَرأَةُ نَفْسَها؟! فلمَّا أَنزلَ اللهُ تَعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥١] قلت: واللهِ! ما أرى ربَّكَ إلَّا يُسارِعُ في هَوَاكَ. [رواه البخاري: ٥١١٣، ومسلم: ١٤٦٤].

- أخبر ﷺ [انظر: البخاري: ٤٧١٢، ومسلم: ١٩٤]: أنَّه يوم القيامة حين يجمع الله تعالى الأوَّلين والآخِرين في صعيدٍ واحدٍ، يُسمِعُهُم الدَّاعي، ويَنْفُذُهم البصرُ، وتدنُو الشمسُ من رؤوس العباد، ويحلُّ الغمُّ والكربُ، وتأتي الأُمَمُ إلى الأنبياء: آدم أبي الأنبياء، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وكلُّ هؤلاء على كمال مقاماتهم الكبرى بين يدي الله تعالى، وهم أنبياؤه ورسله، يَعتذِرون عن الشَّفاعة للخلق في ذلك المكان، وكلٌّ يقول: «**إنَّ ربِّي قد غَضِبَ اليومَ غضباً لَمْ يغضبْ قبلَه مثلَه، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَه مثلَه**»..



وينتهي بهم المقام إلى صاحب المقام المحمود محمَّدٍ ﷺ، فيقول: «**فأنطلقُ، فآتي تحتَ العرشِ، فأقعُ ساجداً لربِّي ﷻ، ثمّ يَفتحُ اللهُ عَلَيَّ من محامده وحُسن الثَّناءِ عليه شيئاً لم يفتحه على أحدٍ قبلي، ثمّ يقال: يا محمدُ، ارفعْ رأسَك، سَلْ تُعْطَه، واشفعْ تُشَفَّعْ. فأرفعُ رأسِي فأقولُ: أُمَّتي يا رَبِّ، أُمَّتي يا ربِّ، أُمَّتي يا ربِّ، فيقالُ: يا محمَّدُ، أدخِلْ من أُمَّتك من لا حسابَ عليهم من الباب الأيمَنِ من أبواب الجَنَّة، وهم شركاءُ النَّاسِ فيما سوى ذلك من الأبواب**».

- لقد أخبر نبيُّك ﷺ بخبرٍ يحتاج منك إلى أن تُعيد قراءته مِراراً حتَّى تتذوّق حلاوتَه، وتجد مشاعرك من خلاله، وتشعر بأثره، وتلقى روحك في ظلاله، وفيه: «**لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ يَدْعُو بها، وأريدُ أن أَخْتَبِئَ دَعْوَتي شفاعةً لأُمَّتي في الآخِرَةِ**».

- **هل قرأتَ الخبرَ؟ هل تخيَّلْتَ حجمَه وأثرَه على نفسك؟ هل أدركتَ ما فيه من الجمال والجلال والبهجة؟**

إنه يقول لك: دعوتُه المستجابة سيُبْقيها لذلك اليوم، ليوم القيامة، وسيجعلها شفاعةً لك ولأُمَّته ﷺ ! ولك أن تتخيَّل وأنت تقدم على الله تعالى، وهذا نبيُّك ورسولُك ﷺ، وهو





الَّذي وَعَــدَه الله تعالى بدخول أعدادٍ كثيــرةٍ من أمته من الباب الأيمن للجَنَّة، وهم شركاءُ النَّاس في بقية الأبواب، وتجري عليهم فصولُ تلك الدعوة التي ادَّخَرها ﷺ لذلك اليوم.

- **لن تقف يوم القيامة بعملك** الَّذي تريد أن تدخل به الجنان، ولن تكونَ الموازينُ هــي الحدَّ الفاصلَ في تلك النِّهايات، ولــن تقفَ معــزولاً عمَّن حولــك وبناء على ما صنعت فحسب، كلا!

ســتأتي بإيمانك، وأعمالك، وجهودك، وكلٍّ صغيرة وكبيــرة من أحداثك وآثارك، وســتأتي فــي ذلك الوقت مصحوباً بالفأل والأمل، وأنَّ نبيّك ﷺ له دعوةٌ مستجابةٌ، وما جعلها لنفســه، بــل ادَّخرها لذلك اليــوم الذي أنت وأمثالك من أمته في حاجة إليها.

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!



* * *





الفصلُ الخامسُ

نعيمُ الجِنان



١

حين يُفتَح بابُ الجِنان

• في «صَحيح مُسلم» [١٩٦ ـ ١٩٧]: من حديث أنسِ بن مالكٍ، قال: قال ﷺ: «**أنا أكثرُ الأنبياءِ تَبعاً يومَ القيامةِ، وأنا أوَّلُ مَن يقرعُ بابَ الجَنَّةِ**».

وفي رواية: «**أنا أوَّلُ شفيعٍ في الجَنَّةِ**».

وفي رواية: «**آتي بابَ الجَنَّةِ يومَ القيامةِ، فأَستفتحُ، فيقولُ الخازنُ: مَنْ أنتَ؟ فأقولُ: محمَّدٌ، فيقولُ: بِكَ أُمِرْتُ لا أَفْتَح لأحدٍ قَبْلك**».

• **تعالَ معي إلى عالم الجِنان**، هيا بنا إلى هناك، لقد تمَّت الدُّنيا بفصولها وأحداثها وكلِّ ما فيها، وجاءت الآخرةُ بكلِّ ما فيها من أفراح! من هنا تبدأ الحياةُ، ومن هناك نستعرضُ فصولَ الجمال والجلال.

ـ **تخيَّلْ أنَّك أصبحتَ في عَرَصات القيامة**، وأُمم الدُّنيا كلها تقفُ في صعيدٍ واحد، ونبيُّك ﷺ أكثرُ الأنبياءِ تَبَعاً يومَ القيامةِ، وهو أول من يَقرع بابَ الجِنان ويُفتح له! يا الله!





• في مرَّات كثيرة نحضر حفلاً، أو نأتي لقاء، أو نشهد جمعاً، ثمّ نجد فيه صديقاً، فتسـقي الأفراحُ مشاعرَنا إلى أقصى مـدى، ونظل نردِّد في ذلك اللِّقـاء مبتهجين: رُبَّ صُدفةٍ خيرٌ من ألفِ ميعـاد! فكيف بك وأنت في مواقف القيامة، ونبيُّـك ﷺ حاضر في ذلك المشـهد وهو أكرم الأنبياء عند الله تعالى، وهو أكثرهـم تَبَعاً، وأوَّل من يقرع بـابَ الجَنَّة، وأعظم شـفيع لأمتـه في تلـك المواقف، ولا يُفتح باب الجَنَّة إلَّا بعد قرعه؟!

- ماذا لو قلتُ لك: حَدِّثني عن ذلك الموقف الذي خالج مشاعرك حين قدمتَ إلى دائرة من الدوائر الخدمية، وقد تعثَّر لك موضوعٌ ما، وبحثت في ليلتك عن كلِّ من له علاقة لعلَّه يُعينك على تحقيق أمانيك، ثم لم تجد أحداً، وحين وصلت تلك الدائرة وإذا بصاحبك وصديق روحك وأقدر الناس على عونك هو من يمثِّل صناعة ذلك القـرار، أو الإعانة عليه في تلك الدائـرة؟! قل لي، صف لي مشـاعرك، أفِضْ عليَّ بما يلقي ذلك اللِّقاء في قلبك وروحك.

في مرَّات كثيرةٍ لا نسـتطيع أن نصف تلك المشاعر، وهي فوق كلِّ ما نتحدَّث به أو نُسَـطِّره في كتاب، ولو أنَّ



واقفاً يرصد تفاعلك مع تلك اللحظـــة، وتجاذب روحك معها؛ لعرض الأفراح في كامل صورها ومعانيها؛ فكيف لو كان هذا الموقف ليس في الدُّنيا، ولا في دائرة من دوائرها الخدمية، وليس في شأن من شؤون تأتي أو تفوت لا فرق فيها، بل فـــي مواقف الآخرة، ومشـــاهد الختـــام، وحين الإعلان عن الفوز والخســـارة، والإخفـــاق والنجاح، وفي النهايات الكبرى إمَّا إلى جنَّةٍ أو نار؟!

• تُبعث من قبـــرك في حال من الخـــوف، وتقف في مشـــاهد من القلق والبحث عن النهايـــات، وقد عُرضت الجَنَّةُ والنَّارُ، وإذا بك أمـــام نبيِّك ﷺ وجهاً لوجه، وأنت تعرف حينها أنَّه أكثر الأنبياء تَبَعاً، وهو أول من يقرع باب الجَنَّة، وأول شفيعٍ في تلك المساحات.

- بل كيـــف بك وأنت تعـــرف أنَّ نبيَّـــك هذا ﷺ هو صاحبُ المقام المحمود، ولن تُفتـــح أبواب الجِنان حتَّى يأتي إليها ﷺ، ويكون أول من يَقـــرع أبواب النَّعيم، وقد حكى لك في نصوصٍ كثيرةٍ شـــفقتَه عليـــك، وبُكاءَهُ من أجلك، وحرصَه على نجاتِك، وتضرُّعَه إلى ربِّه في مرَّاتٍ عديدةٍ: **أُمَّتي يا ربِّ، أُمَّتي يا ربِّ، أُمَّتي يا ربِّ؟!**







- **تخيَّلِ الفرقَ بينك وبين غيرك فـــي تلك المواقف:** بينك وأنت بإيمانك وعملك الصالح، وبنبيِّك ﷺ وله كلُّ تلك المشـــاهد الكبرى بيـــن يدي الله تعالـــى في مواقف القيامة، وبين غيرِك الَّذي لا يماثلك في شيءٍ.

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *



٢

ولا خَطَر على قلبِ بشَر

• فـي مـرَّاتٍ كثيـرةٍ تسـتهوينا دعايـةٌ لمنتج من المنتجات، ونأخذ من عرضٍ شـيِّقٍ لنكرةٍ مـن النَّكِرات قناعةً كافيةً بشراء ذلك المنتج، وتتعدَّد صورُ هذا المعنى في حياتنا إلى صور كثيرة ومتنوعة.

قبل يوميـن رأيتُ أحـداً من طلاب العلم يسـوِّقُ لكتاب من الكتب فـي عِلْمٍ يسـتهويني، ففرحتُ به، وحين عَـرض ذلك المسـوِّقُ للكتاب، فـإذا بمن قدَّم للكتاب شخصية معروفة بعلميتها وصدقها، وأثنى ثناءً رائعاً على الكتاب، فأتممتُ شـراءَه من المتجر، ومن فـرط فرحي به ذهبـتُ أربعين كيلاً لآخذه من شـركة التوصيل رغم ضيق وقتي، وكان يمكن أن يأتي به أحدُ الأبنـاء، وتصفَّحْتُه وقرأتُ مقدِّمته وأنا في السـيارة لم أصل بعـدُ للبيت! فكيـف والذي يُعْرَض عـن الجَنَّةِ، ويتولَّى وَصْفَها ربُّ العالمين؟!



• فـي «الصَّحِيحَين» [البخاري: ٧٤٩٨، ومسلم: ٢٨٢٤]: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ: «**يقولُ اللهُ تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحينَ مَا لَا عينٌ رَأَتْ، ولَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولَا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ**».

- وفي «صَحيح البخاريِّ» [٢٨٩٢]: من حديثِ سهل بن سعد الساعديِّ رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**وموضعُ سوطِ أحدِكم مِن الجَنَّةِ خيرٌ من الدُّنيا وما عَلَيها**».

• كثيرون جدّاً أولئك الذين يُعِدُّون لرحلات الصيف، فيجمعون أموالاً، ويختارون أوقاتاً ورفقة وصحبة، ويرتِّبون لها قبل زمن طويل، ويدفعون من أوقاتهم وجهودهم وأموالهم لرؤية بعض مناظر تلك البلاد، ثم يعودون وقد امتلأتْ مشاعرُهم بالبهجة، وأرواحُهم بالحياة، وحياتُهم بالأماني، ويبقون زمناً طويلاً يتحدَّثون بها للرفاق، وكلَّما وجدوا مناسبة أو وقتاً تحدَّثوا بها للآخرين، فقل لي بربِّك: كيف بك حين تقف أمام قولِ ربِّك الذي خلق الجَنَّة وما فيها من نعيم، وقال واصفاً لها: «**أَعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالحين مَا لَا عينٌ رَأَتْ، ولَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولَا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ**»؟!

يخبرك ربُّك تعالى أنَّ في الجَنَّة التي تنتظرك ما لم تره عينُك من ألوان النَّعيم، وما لم تسمع به أُذُنُك، ولم يخطر



على قلبك البتَّــةَ؛ فهل أدركتَ ما ينتظــرك؟ وهل عرفتَ تلك الغايات التي تُبذل في سبيلها، والمعاني التي تُكتب من أجلها حظوظك الكبرى؟!

• لو أنَّ مســوِّقاً قابلك، وعرض عليــك منتَجاً، وبيَّن لك بعضَ ما فيه من خدمات؛ لأَغْراك به، ولدفعتَ فيه ما تملك من أموال، وربَّما استدنتَ ذلك المبلغ! وكم هي المرَّات التي يصلُ إليك فلا يكون بتلك المباهج التي عرضها صاحبُها أول وهلة..

- ولــو أنَّ زميــلاً قابلــك يومــاً، وعرض عليــك رحلتَه السِّياحية، وذكر لك دولةً أو مدينةً لم تصلْها من قبل، ثم عرض عليك بعــضَ صُوَرِها ومشــاهدها، وما وجد فيها؛ لاســتلب عقلك، وغيَّر تفكيرك، وأقبل بك جادّاً على الترتيب لزيارة هذا المكان مهما بلغت كلفته، وما أكثر ما يحدث هذا في زمانك!

- وإذا نظرتَ إلى تفاعلك مع هذه الأخبار والأحداث، رغم ما يعتريها من ضعــف، وعدم صــدق، ومبالغة في التصوير، في مقابل تفاعلك مع ما يقصُّه الله تعالى عليك من أخبار ومشاهد لا مثيل لها في ذاكرتك البتَّة؛ **لأدركتَ كم هــي حاجتنــا إلى إعــادة بنــاء تصوُّراتنــا وأفكارنا ومفاهيمنا تجاه ما ينتظرنا بين يدي الله تعالى يوم القيامة.**





• **ماذا لو قيل لك يوم القيامة: إنَّ لك من النعيم مثلَ ما رأيتَه وعشتَه في دنياك بكلِّ مشاهده**؛ من القصور والأملاك والنعيم، قل لي بالله عليك: لو قيل لك هذا، وكانت كرامتُك بين يدي الله تعالى بمثل هذا المعنى؛ كيف تتصوَّر نعيمك؟ كيف تلقى ذلك الخبر الذي وصلك؟ حَدِّثني عن أفراح قلبك ومشاعرك، ومشاهد البهجة في حياتك وأنت تتلقَّى خبراً في النهايات بأن جزاءك في الآخرة كدنياك التي تعرف صورها ومشاهدها ومباهجها كاملة من غير نقصان! أجزم يقيناً أنَّ مشاعر البهجة لا تكاد تسعك وأنت تتقلَّب في مشاهد هذا النَّعيم..

فكيف إذا قيل لك أنَّ ما تلقاه يوم القيامة أكبرُ وأجلُّ، ولا وجه للمقارنة والمشابهة بين الصورتين البتَّةَ، ويكفي أن ربَّك تعالى يقول لك: «**أَعْدَدْتُ لِعِبادي الصَّالحينَ مَا لَا عينٌ رَأَتْ، ولَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولَا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ**»؟!

تأتي يوم القيامة فتلقى نعيماً، وتعيش مباهج لم تَرَها عينُك من قبل، ولم تسمعْها أذنُك يوماً من أيام دهرك، ولا خطرت على قلبك يوماً من أيام زمانك، وكل ما رأيتَه وسمعتَه وشاهدتَه لا شيء أمام هذا النعيم الذي يمنحك الله تعالى إياه، ويسوقه إليك كمشهد من مشاهد التكريم لك في النهايات.



فإن قلتَ: قـرِّب لي الصُّـورة، ضَعْ لي مثالاً حسِّـيّاً يمنحني تصوُّراً كاملاً أمام هذا المعنى الكبير، **فأدعك مع هذه الصُّـورة** التي يقرِّب رسـول الله ﷺ فيهـا لك تلك النهايـات التي تنتظرها فـي ذلك اليوم، حيـن قال عليه الصلاة والسلام: «**ومَوْضِعُ سَوْطِ أحَدِكم من الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا وما عَلَيها**»!

موضع سوطك الذي تحمله، ومساحة عصاك التي في يدك في الجَنَّةِ خيرٌ من كلِّ الصور والمشـاهد التي مرَّت أمام عينـك؛ أو طافت أخبارها بأذنـك، أو خطرت على قلبك يوماً من أيام عمـرك: «**ومَوْضِعُ سَـوْطِ أحَدِكُم مِنَ الجَنَّةِ خيرٌ من الدُّنيا وما عَليها**».

- دعني أقول لـك: كلُّ الذيـن وُلِدوا علـى وجه هذه الأرض، وعاشوا هذه الحياة، وبقوا مئات السنين؛ رحلوا منها ولم يتعرَّفوا على أكثر مشـاهد هذه الكرة الأرضية، ولو بقي الواحد منهم زمانَه يمشي ويتنعَّم في هذه المساحات ما أتى على بعضها، فضلاً عنها كلِّها؛ **فكيف بنعيم موضعُ السَّـوط فيه خيرٌ من كلِّ مشاهد ومباهـج هـذه الحياة كلِّها؟!**

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!





٣
بساتينُ الجِنان

• قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٢ ـ ١٤].

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

• **يُخبرك الله تعالى في كتابه عن بعض صور النَّعيم،** ومشاهد الدهشة التي تلقاها في ظلال الجنان، ويعرضُ لك حال المُنَعَّمين هناك: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾؛ ظلال وارفة، وأَسِرَّة فارهة، وحال من السرور يمثله ذلك الاتِّكاء الذي يعبِّر عن كامل الرفاهية والنعيم التي يلقاها أصحابُ الجِنان، ويخبرك تعالى أنَّهم في تلك الحال لا يَرَوْن شمساً تُؤذيهم، ولا يلقون برداً يُقلقهم، بل حال من النعيم لا يشبهه نعيم، ونهايات لا يعبِّر عنها إلَّا القُرآن.

كم هي المرات التي تُخرِجُ سريرك إلى ظلٍّ من ظلالك الوارفة في دنياك، ثمّ إذا بالشمس تُطاردك في كلِّ زاوية، وكلّما بدأتَ تستقرُّ؛ أغارت عليك، ونغّصت مجلسك،





وفوَّتت عليك مشاهد النعيم! وكم هي المرات التي تريد أن تلقى أثر تلك الظِّلال، ولكن البردَ يقف حائلاً دون نعيمك، وحاجزاً دون مشاهد قلبك، وجلال روحك.. فلا أنت الَّذي استكملتَ ذلك النعيم مع مطاردة الشمس، ولا هنئت بتلك الظلال مع شـدَّة البرد، ولا تكاد تكتمل لك صورة واحدة أو مشهد من مشـاهد النعيم، وإن جاء شـيء جاء لِماماً، سـرعان ما تزول صورُه وذكرياتُه وأمانيه.. بخلاف الجِنان التي يحكي الله تعالى لك صورَها، ويعرض لك مشاهدَها، ويبيِّن لك عن النهايات التـي تلقاها فيها، فلا حرَّ ولا برد: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾!

• جلس ذات مرة في وسط حديقة من الحدائق، وأخذ يقلِّب النَّظَر في مشـاهد ذلك الجمال، وتطوف مشـاعرُه بتلك الصُّـور مراراً، وتأخذه تلك المسـاحات إلى أعمق الصُّور وألذِّها في الحياة، ويتمنَّـى في كلِّ مرة ألَّا تأخذه الظروف عن هذه السكينة وهذا النعيم الوارف، وكم هي المرَّات التي احتاج فيها إلى شيء من ثمار تلك الحدائق، فيذهب يطارده، ويأتي إليه من كلِّ جانب، ويصطاده على تفرُّقه، ويجمعه بعد جهد، ثمَّ يحتاج منه إلى عناية واهتمام حتى تكتمل صورُ نعيمه في النهايات، ثم تراه مسروراً إلى آخر مدى ممَّا يلقاه في جنبات ذلك البستان!

فكيف لو قرأ في كتاب الله تعالى تلك الصُّور التي يعرضها القرآن لأهل النعيم في ربوع تلك النهايات، ويخبرك فيها أنَّ الآنِسَ بتلك اللَّحظات لا تلحقه شمسٌ تبدِّد عليه مجلسَه، ولا يروِّعه بردٌ يقيمه من مكانه، وبساتينه التي يراها بين يديه وما فيها من النعيم لا تحتاج إلى أن يقوم ليتخيَّر من ثمارها، ويجهد في تنظيمها حتَّى تطيبَ، وإنَّما تأتي إليه، وتتدلَّى بين يديه بمجرد رغبته وشهوته وأمانيه، كما قال ربُّك تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾!

- في مرَّاتٍ كثيرةٍ تأتي أجملُ الأشياء في صور غير مناسبة، فلا يكتمل النعيم، يأتي لك الخادمُ الَّذي يقدِّم لك الخدمة في شكل لا يناسب، وصورة غير نظيفة، وطريقة غير مناسبة؛ فيقطع عليك لذَّةَ ذلك النعيم، وتنتهي مشاهده على أعتاب تلك الصورة.. وفي مرَّاتٍ يأتي من يقدِّم تلك الخدمة في صورة وارفة من جمال الشكل والمظهر والصورة والطريقة، فتضيف لك الحياة، ويبقى نعيمُك في مرَّاتٍ وقفاً على هذه الصور روحاً ومعنى.

يأتي القرآن هنا ليعرض لك صورةَ أولئك الخدم، ويروي لك مشاهدَ الجمال في ذلك النعيم، كما قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾.

ولدان في قابل أعمارهم، وأول شبابهم، وبواكر العمر





الجميل، وإذا تأمَّلْتَ في صُوَرهم، وألقيتَ بعينك في جمالهم؛ ظننتَهم من تلك النضارة وذلك الجمال الوارف كأنَّهم اللؤلؤ المنثور على الأرض، لا فرق!

- **يعرِضُ الله تعالى جمال الخدم، وأنَّهم أشبه ما يكونون باللُّؤلؤ المنثور على الأرض، ثم يعرض لك بعد ذلك صورَ ما يأتون به من النَّعيم:** ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۟ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٥ ـ ١٧].

يمرون عليهم بأواني الفضة، وأكواب الزجاج الصَّافية، ويُسْقَون من تلك الأكواب وذلك الزُّجاج الخمرَ الممزوجة بالزَّنجبيل! وما أكثر المرات التي أسرك فيها طعم شيء من الشراب، ولذَّة الزَّنجبيل، وبَقِيتَ مأسوراً أياماً من زمانك لتلك اللَّيلة التي هيَّأ الله تعالى لك أن تذوق ذلك الشراب، وتجد ذلك الذوق، وتبقى زمناً تتحدَّث عن تلك المساحة من الأُنس، وذلك الزمان من الربيع، وتروي فيها مشاهد الأفراح؛ فكيف بأهل الجِنان الَّذين يجري لهم من صور هذا النَّعيم وأحداثه؛ ما لا عينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشرٍ بحال!



أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!



٤

مئةُ عامٍ لا يَقطعُها

• كم هي المرَّاتُ التي دخلتَ فيها بساتينَ طويلةَ المسافاتِ، وأخذتَ تُنَعِّم عينَك، وتروي مشاعرك، وتزيد في بهجتك وأفراحك!

زرتُ تاجراً ذات مرة وقد اشترى أرضاً في مدينة جميلة، فأخذنا إلى تلك الأرض، وكانت مُطِلَّةً على المدينة، ولم يكن بدأ في تحسينها بعدُ، ولكن طول مساحتها وإطلالتها أخذ بِلُبِّه، وكان يعبِّر عن أفراحه بها، خاصة أنها في مدينة جميلة ومرتفعة، وتطلُّ على المدينة، فكيف بك في جِنانٍ ظِلُّ الشَّجرةِ الواحدةِ فيها يُعطيك ألفَ معنى للحياة؟!

• في «الصَّحِيحَينِ» [البخاري: ٦٥٥٢، ومسلم: ٢٨٢٧]: من حديث سهل بن سعدٍ رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ: «**إنَّ في الجَنَّةِ لشجرةً، يسير الرَّاكبُ في ظِلِّها مئةَ عامٍ، لا يَقْطَعُها**».

وفي حديث أبي سعيد: «**يسيرُ الرَّاكبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ** (الذي أُعِدَّ للسِّباقِ) **السَّريعَ مئةَ عامٍ، مَا يَقْطَعُها**».

[رواه البخاريُّ: ٦٥٥٣، ومسلم: ٢٨٢٨].





- عرضَ الله تعالــى لك الصُّورةَ النِّهائيَّــةَ لكلِّ أحلامك في الجِنان، وأخبرك: أنَّ في الجَنَّةِ «**ما لَا عينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَر على قلبِ بَشَرٍ**». [رواه البخاري: ٧٤٩٨، ومسلم: ٢٨٢٤].

- ويعرض لك نبيُّك ﷺ صوراً من ذلك النَّعيم العام، ويطلُّ بك علــى نوافذ من تلك الظِّلال، ويمنح ســمعك وبصرك ومشاعرك وروحك صوراً من النَّعيم لا مثيلَ لها، ويوقفك على مشاهد الحياة.

- هناك في النَّصِّ الســابق: موضع ســوطك الذي في يدك خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، وهنا شجرةٌ واحدةٌ في تلك الجنة يســير الرَّاكب صاحب الجواد المضمَّــر الذي أُعِدَّ للســباق بكلِّ ما يملك من ســرعة مئةَ عامٍ، لا يقطع ظلَّ ذلك النَّعيمِ الوارفِ لشجرة واحدة في الجنة، ولعلك تسأل مندهشاً: فكم فيها من أشجار؟ وماذا فيها من نعيم؟

- شجرةٌ واحدةٌ فقط يظلُّ فيها خيلُك مسرعاً مئةَ عام، لا يقطع ذلك الظِّلَّ، ولا يصل إلى آخره، ولا سبيل له إلى تلك النِّهايــات البتَّةَ، فكم يا تُرى في الجَنَّةِ من شــجرٍ؟! وكم فيها من ظلال؟! وكم فيها من بســاتين؟! وكم فيها من صور النعيم والجمال ومباهج الحياة؟!

• في مرَّات كثيــرة يَبني الواحدُ قصراً، ويطيل مســاحته، ويبني له سوراً، ويعتني بزخرفته وأشــكاله، ويمرُّ آخر بجانبه



فيقضي زمناً من عمره مندهشاً ومشغولاً بالحوقلة على ما رآه، مرَّة على طوله، وأخرى على سعته، وثالثة على صور الجمال فيه، ورابعة وخامسة وسادسة وعاشرة على مشاهد البناء التي زوَّق بها، ثمّ يبدأ في حساب صور السَّعادة التي يلقاها صاحب القصر ومن فيه، وقد يعيش زمناً من عمره مشدوهاً على ما رآه؛ فكيف لو عرف أن شجرة واحدة من بساتين الجِنان هناك لا يمشي فيها يوماً ولا أسبوعاً ولا عاماً ليصل إلى نهايات ذلك الجمال، بل يبقى على خيله المسرعة مئةَ عام ثم لا سبيل له إلى الوصول إلى نهايات ذلك النعيم؟!

لعل الدهشة قد تملَّكتك وأنت تُجري هذه الصورة في خيالك ومشاعرك: شجرة واحدة فقط تركض في ظلالها الوارفة مئةَ عام من عمرك لا تقطعها! وتعود للسؤال مرة ثانية وثالثة وعاشرة: كم سعة ملكك؟ وكم فيها من أشجار؟ وهل كلُّ شجرة أقضي فيها مئةَ عام لا أقطعها؟ وستظل هذه الأسئلة المدهشة التي لن تُجيب عليها حتى تقف على الحقائق بعينك، وتطأ في تلك البساتين بقدمك، وترى تلك الصور واقعاً في النِّهايات.

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!





٥

شَجَـرٌ مـن ذَهَــبٍ

• قبل ليــالٍ زُرتُ صديقاً لي تعــرَّض لوعكة صحِّية، ودار حديثٌ عــن الأبنية التي حــول الحــرم وأجاراتها الغالية، وأن مترين في مترين يصل أجاره للملايين، وقال أحد الحاضرين: دخلنا ذات مرة محلَّ ساعات، فكان ثمن الواحدة يزيد على المليون ريال..

ـ وتذكَّرت حينهــا حديثاً في «سُــنن التِّرمذيِّ» [٢٥٣٨، وصحَّحه الألبانيُّ]: من حديث ســعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «**لــو أَنَّ ما يُقِلُّ ظُفُرٌ ممَّا فــي الجَنَّةِ بَدَا، لَتَزَخْرَفَــتْ له ما بينَ خَوَافِقِ السَّــمواتِ والأرضِ، ولو أَنَّ رجلاً من أهــلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَ فبــدا أَسَــاوِرُهُ، لَطَمَس ضوءَ الشَّمْسِ كما تَطْمِسُ الشمسُ ضوءَ النُّجومِ**»..

ـ وتذكرت في المقابل ما في «سُــنن التِّرمذيِّ» [٢٥٢٥]: أيضاً: مــن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قــال: قال ﷺ: «**ما فِي الجَنَّةِ شجرةٌ إلَّا وساقُها من ذَهَبٍ**».





• دعني أسألك: هل تخيَّلْتَ الجَنَّةَ وما فيها من بساتين وأشجار؟ هل تذكر تلك الشـــجرةَ الَّتي يَجري فيها خيلُك المضمَّر مئة عام لا يقطعها؟ كم هي المرات التي أســـرك فيها بســـتانُ مزرعتِك؟ وألقى في روعك مشاهد الجمال والجلال؟ كم هي المرات التي رأيت مســـاحة من حديقة فَخُيِّلَ إليكَ أنَّك لم تر مثلها قط، وبقيتْ في ذاكرتك زمناً طويلاً؟ كم هـــي الصُّور التي عُرضـــت على عينك وأنت ترى فيها مشـــاهد تلك البســـاتين والحدائق وما فيها من أشجار، حتَّى إنَّك لم تملك سوى أن تسبِّح ربَّك، وتهلِّله على ما خلق من مباهج الكون!

ماذا لو قيل لـــك: إنَّ تلك البســـاتين التي وصفها الله تعالى لك، أو تلك الشـــجرة التي عرض لك النَّبيُّ ﷺ أنَّ خيلَك المضمَّر لو سار فيها مئة عام لم يقطعها: أن ساقها من ذَهَبٍ؟ وإذا كان السَّاق من ذهب؛ فكيف تكون الفروع والأوراق والثمار التي تخرج منها؟!

في مرات كثيرة يقضي العامـــل زمناً من عمره، وأياماً من حياته، وهو يُهَذِّب ويُشَذِّب في بستان صاحبه، وكلَّما امتدَّتْ أوراقه من جهة قام إليها وشَذَّبها، ويحاول في كلِّ مرة أن يخلـــق بعض صـــور الجمال والتناســـق في ذلك



البستان، ونظلُّ مرهونين بذلك الجمال زمناً من أعمارنا، وكلَّما رأينا صور ذلك التناسق ألقينا بأرواحنا ومشاعرنا مُهَلِّلين مُكَبِّرين، فكيف بك وأنت تقف في ظلال الجِنان، وتمتدُّ تلك البساتين في نظرك، وترى تلك السِّيقان المَصُوغة من الذَّهب، ويأخذك التَّأمُّل؛ مرّة في جمالها، وأخرى في اتساقها، وثالثة في ألوانها، ولا يكاد ينقضي عجبك ممَّا رأيت؟!

- **إنَّ بساتين الجِنان لا تحتاج إلى تشذيب**، ولا تنتظرك للتَّهذيب، وليست بحاجة إلى شيء من الإصلاح حتَّى تستقيم، خُلقت تُحَفاً من الجمال، وستظلُّ كذلك، ولو أنك قضيت أزمنة طويلة في الدهشة بشجر تلك الجِنان لَمَا شبعت؛ فكيف بألوان النعيم والجمال، وصور الحياة التي لا سبيل لك إلى عدِّها وحصرها في تلك المساحات؟!

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!





٦
سُوقُ الجَنَّـة

• في «صَحيح مُسلم» [٢٨٣٣]: من حديث أَنس بن مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«إنَّ في الجَنَّةِ لَسُوقاً يَأْتُونَها كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ ريحُ الشَّمالِ، فَتَحْثُو في وجوهِهِم وثِيابِهِم، فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وجَمالاً، فَيَرْجِعُونَ إلى أَهْلِيهِم وقَدِ ازْدَادُوا حُسْناً وجَمالاً، فيقولُ لَهُمْ أَهْلُوهُم: واللهِ! لقدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنا حُسْناً وَجَمالاً، فيقولونَ: وأَنْتُم واللهِ! لقدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنا حُسْناً وَجَمالاً»**.

• كم يَصْرِف الإنسانُ على العنايةِ بجسده؟ وكم يَدْفع في سبيلِ ذلك من مالٍ؟ كم هي الجهودُ والأوقاتُ والأموالُ الَّتي نبذلها اليومَ من أجل تحسين البَشَرة؟ إنَّك لن تُحصي ما يُصْرَف من تلك الجهود والأوقات والأموال في سبيل ذلك، وما أكثر المنتجاتِ الَّتي تجري تجربتُها في سبيل الوصول للمنتج الأقرب والأسرع في إضافة ذلك الجمال على وجوهنا وأجسادنا! وَثَمَّةَ أُناسٌ يعملون عمليَّاتٍ جراحيةً لتغييرِ الشَّكلِ واللَّونِ من أجل تلك المعاني.





يخبرك رسولُكَ ﷺ أنَّك لا تحتاج في الجَنَّةِ إلى شيء من هذا، يكفيك أن تذهب يوم الجمعة إلى ذلك السُّوق، فتهبَّ عليك ريحُ الشَّمال، وتَحْثُو في وجهك، فتهبك كلَّ صُوَر الجمال، للدرجة التي من خرجْتَ من عندهم يجدون أثر ذلك بادياً عليك، ولا يملكون إلَّا أن يقولوا: «واللهِ، **لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنا حُسْناً وَجَمالاً**».

- **فرقٌ كبيرٌ جدّاً بين أسواقِ الدُّنيا، وأسواقِ الجَنَّةِ،** هذه تذهبُ إليها فتلقى من التَّعَبِ والعَنَاء، وتصرفُ من الجهود، وتبذلُ من الأموال، وحين تعود ويلقاك آخرُ في عرض الطريق، فضلاً عن أهلك، يسألُك عن أثر تعبك وعنائك من خلال ما يبدو على وجهك من آلام، ثمّ لا تجد ما يزيل تلك الأسئلة عن أحوالك إلَّا أن تقول لهم: كنتُ في السُّوق! فَيُدْرِك من حولك أنَّ هذه عوائده.. بخلاف سُوق الجِنان؛ تذهب إليه متمتِّعاً، وتعود منه في أجمل الصُّوَرِ، وأدهش الأحوال.

- ماذا لو قِيل لك: إنَّ ثَمَّةَ مكاناً ومساحة، ويوماً من أيام أسبوعك، حين تزوره تعود آسراً في جمالك، ومورقاً في حالك، ورائعاً مدهشاً في أحوالك وأخبارك؟



ماذا لو قِيـل لك: لا تتكلَّـفْ في صناعـةِ جمالك، ولا تجهد في تحسينِ صورتك وشـكلك، ولا تنفق شيئاً في سبيل تلك الأماني؛ فقط تزور ذلك المكان، وتأتي في ذلك اليوم، وتعود بأبهج الصور وأدهش المعاني!

المدهش في نعيم الجنان: أنَّه يأتـي على التفاصيل، ويُحَقِّق كلَّ الأماني، ويهتف بالمشـاعر إلى أقصى مدى، ولا يُبقي شيئاً من أماني قلبك ومشاهد روحك، ويسقيك الحياة حتَّى تروى.

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!







٧

قُصورُ الجِنان

• في «سُنن التِّرمذيِّ» [٢٥٢٦]: من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال ﷺ: **«الجَنَّةُ لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، ومِلَاطُها المِسْكُ الأَذْفَرُ، وحَصْباؤُهَا اللُّؤْلُؤُ والياقوتُ، وتُرْبَتُها الزَّعْفَرانُ، مَنْ يَدْخُلها يَنْعَم لَا يَبْأَس، ويَخْلُد لا يَموت، لا تَبْلَى ثِيابُهم، ولا يَفْنى شَبَابُهُم»**.

• إذا أردتَ أن تُلْقِي بقلبك ومشاعرك إلى أبنيةِ الجِنان، وما فيها من تلك البيوت والقصور، فتعال إلى هذه الصُّورة التي يعرض لك فيها رسولُك ﷺ تلك الأبنية، ويروي لك تفاصيل تلك القصور.

تخيَّل أنَّك في قَصْرٍ من القصورِ، ولَبِناتُ ذلك القصر من ذَهَبٍ وفِضَّة، لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ومِلاطُها المِسْكُ، وهو الطِّينُ ـ التُّراب الذي يُخْلط بالماء ـ ليُرْبَط به بين تلك اللَّبنات، وحصباؤها، أي: حصى الجَنَّةِ الصَّغيرُ هو اللُّؤْلُؤُ والياقوتُ، وتُرْبَتُها الزَّعْفَرانُ.





• كثيرونَ في زمانِك يَبْنون بيوتاً صغيرةً ليست قصوراً، ويجهدون في تزويقِ تلـك البيوت وترتيبهـا وتنظيمها، ويدفعون على الشَّـكلِ الخارجيِّ أموالاً باهظة؛ من خلال اختيار أنواعٍ من البلاط التي تظهرها بشـكلٍ يروي أعين النَّاظرين، ويتحمَّل في سـبيل ذلك كلَّ شـيء، ولو بقي مديوناً زمناً من عمره، ومرهوناً بذلك مسـافة من الزمن، ويكفيه من كلِّ ذلـك أن يروي بصره حيـن يدخل ذلك البيت أو يخرج منه، أو حين يتناقـل الآخرون خبر ذلك الجمال، ويتناقلون تلك الصُّور فيما بينهم..

فكيف بِقُصورٍ في الجِنان: اللَّبِنـاتُ الَّتي بُنيت بها من ذهب وفضَّـة، والطِّينُ الذي يربـط بين تلـك اللَّبِنات من المِسْكِ الأَذْفر، والحصى التي تمدُّ به تلك الأرض من اللُّؤْلُؤِ والياقوت، والتربة التي تزيِّن ذلك البناء من الزعفران؟!

• تَخَيَّـلْ أنْ تعيش زمنـاً من عمرك، أو مسـاحة من وقتك، في بيت هذه مواصفاتـه، وتلك أبنيته وما فيه من مشاهد الجمال في زمانك!

تُرى كم من الزمن سـتقضيه وأنـت مدهوش من أثر ذلك؟ كم سيأخذ ذلك الجمالُ من حديثك ووصفك؟ كم





ستستغرق في عرض ووصف ما رأيتَ وما تكوَّن لك من تلك الزيارة؟

فكيـــف إذا قيل لـــك: هذه قصـــورك ونعيمـــك التي ســـتلقاها في جِنان الخُلد! كلُّ ما حُكي لك من مشـــاهد الجمال والبهجـــة فهي لك، وإذا كانت الشَّـــجرةُ الواحدةُ يجري الجوادُ المُضَمَّر فيها مئةَ عامٍ لا يقطعها؛ فكيف هي قصورك ومساحاتك هناك؟!

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!







٨

خِيامُ الجَنَّـة

• في «الصَّحِيحَين» [البخاريُّ: ٣٢٤٣، ومُسلم: ٢٨٣٨]: من حديث أبِي مُوسَى الأشعريِّ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «الخيمةُ دُرَّةٌ مجوَّفةٌ، طولُها في السَّمَاءِ ثلاثونَ ميلاً، في كلِّ زاويةٍ منها لِلْمُؤْمِنِ مِنْ أَهْلٍ، لا يراهُم الآخَرون».

- ولفظ مسلم: «إنَّ لِلْمُؤمنِ في الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِن لُؤْلُؤَةٍ واحِدَةٍ مُجَوَّفةٍ، طُولُها سِتُّون ميلاً، لِلْمُؤْمِنِ فيها أهلونَ، يطوفُ عليهِمُ المُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهم بَعْضاً».

- وفي روايةٍ للبُخَاريِّ [٤٨٧٩]: «إنَّ في الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُها سِتُّونَ ميلاً، في كلِّ زاويةٍ منها أَهْلٌ، مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يطوفُ عليهِمُ المُؤْمِنونَ، وجَنَّتَانِ من فِضَّةٍ آنيتُهما وما فيهما، وجَنَّتَانِ من كذا آنيتُهما وما فيهما، وما بينَ القَوْمِ وبينَ أَنْ يَنْظُروا إلى رَبِّهِم إلَّا رداءُ الكِبْرِ على وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ».



• من تأنُّق الناس في زمانك، وزيادة نعيمهم في الدُّنيا: أنَّ الواحد منهم يَتَّخذ له خيمةً في زاوية البيت، ويعتني



ببنائها وجمالها حتَّى تخرجَ في أبهج وأجمل صورها، ثُمَّ تراه يخرج إليها في أوقات معدودة، ويستقبل فيها ضيفاً، ويعتبر ذلك نوعاً من التَّغيير من جهة، ونوعاً من ملء روحه ومشاعره بذلك الجمال من جهة أخرى.

- وفي مراتٍ يبني هذه الخيمة في البَرِّ، ويصلُها ببعض متطلَّبات البَرِّ، وفي مراتٍ يبنيها على شكلٍ شعبيٍّ، ويأتي إليها بكلِّ ما يتعلَّق بموروث ذلك الزمان، وفي ثالثة يعتني بكلِّ ما فيها حتَّى يملأ قلبه ومشاعره من جمالها، ويجد راحته وأنسه في جوانبها؛ فكيف إذا كانت هذه الخِيام في الجِنان، ولقيت هذه الأرواح بعض تلك الآمال؟!

- في الجَنَّةِ خيامٌ، والخيمةُ الواحدةُ غاية في الإبداع والإدهاش، الخيمةُ على شكل لؤلؤةٍ مجوَّفة، طولها ارتفاعاً ستون ميلاً، وفي كلِّ ناحية من هذه الخيمة الطويلة الواسعة المدهشة زوجات من الحور العين، غير أنَّه من طول هذه الخيمة لا يرى بعضُهم بعضاً!



- بعضاً من تلك الخيام التي تراها يحشد فيها أصحابُها الخدمَ، وتجدهم يملؤون تلك الخيمةَ جمالاً، ويقومون على خدمة كلِّ من يدخل هذه الخيمة، ويقومون





على شؤونهم، ويحاولون أن يضيفوا لها بعضاً من مباهج الجمال..

وهناك في ظلال الجِنان في الخيمة الواحدة من تلك الخيام تُقيمُ الزَّوجاتُ من الحور العين، وكلٌّ منهن لا يرى بعضُهن بعضاً! فإن شِئتَ أنْ تَتمتَّع بتلك المناظر المبثوثة في كلِّ جانب من تلك الخيمة، وإن شئت أن تملأ بصرَك بذلك التجويف الذي يبلغ طوله سِتِّين ميلاً، وإن شئت أن تعود ببصرك إلـــى النَّعيم المرافق: «**للمؤمِـــنِ فيها أهْلُونَ، يطوفُ عليهِمُ المؤمنُ، فلا يَرَى بعضُهم بعضاً**».. فخذ من هذا النعيم ما يصنع في مشاعرك الحياة.

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *







٩

أنهــارُ الجَنَّــة

• قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

- وفي «صَحيح البخاريِّ» [٤٩٦٤]: من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: لَمَّا عُرِج بالنَّبيِّ ﷺ، قال: «**أَتَيْتُ على نَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفاً، فَقُلْتُ: ما هذا يا جِبريلُ؟ فقالَ: هذا الكَوْثَرُ**».

- وفي روايةٍ [البخاري: ٦٥٨١]: «**فإذا طِينُه أو طِيبُه مِسْكٌ أَذْفَرُ**».

- وفي «صَحيح مسـلمٍ» [٤٠٠]: من حديث أنسٍ، قال ﷺ: «**أَتَدْرونَ مَا الكَوْثَرُ؟ فإِنَّهُ نَهَرٌ وَعَدَنيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيهِ خَيْرٌ كَثيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَليهِ أُمَّتي يَوْمَ القِيامَةِ، آنِيَتُه عَدَدُ النُّجومِ**».

- وفي «سُـنن التِّرمذيِّ» [٣٣٦١]: من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، قال: قال ﷺ: «**الكَوْثَرُ نَهَرٌ في الجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، ومَجْـرَاهُ عَلى الدُّرِّ وَالياقـوتِ، تُرْبَتُـهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وأَبيضُ مِنَ الثَّلْجِ**».







- وفي «سُنن التِّرمذيِّ» [٢٥٧١]: عن معاويةَ بن حَيْدَةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ في الجَنَّةِ بَحْرَ الماءِ، وَبَحْرَ العَسَلِ، وبَحْرَ اللَّبَنِ، وبَحْرَ الخَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الأنهارُ بَعْدُ**».

- كم هي المرَّاتُ الَّتي وقفتَ فيها على صور شلَّالات المياه، وقد أخذتْ بعقلك، وألقتْ بك في بحر الأماني؟

كم هي المرَّات التي استوقفك منظرُ السُّيولِ الهادرة في لحظة ربيع، وهي تملأ عينك، وتروي مشاعرك، وتأتي على أمانيك؟

إذا غابت السُّيولُ ثُمَّ جاءت بعد زمن، رأيتَ النَّاس يخرجون من بيوتهم، ويستقبلون تلك المشاهد، ويقفون جماعات ووحداناً يتأمَّلون فيها، ويَهَبُون لأرواحهم منها كلَّ شيء، ويبقون يتردَّدون أياماً على بعض تلك المشاهد التي غابت مع الأيام، وتجد في مرَّات زِحاماً شديداً، وسيارات تملأ الشوارع والطرقات، وتعرفُ بعد حين أنَّ الربيع عاد، وأقبلت السُّيول تملأ الأرض جمالاً وربيعاً.



قبل عامين جاءت تلك السُّيول بعد سنين طويلة إلى أرض مجدبة، وكنتُ فيمن خرج ذلك اليوم، وملأتُ عيني، وصورت مباهجها مراراً، وكتبتُ ما جادتْ به المشاعرُ تلك اللَّحظة على هذا الرواء، وأذكر أنني لقيتُ جَمْعاً من الرِّفاق





والأصدقاء، وكنَّا تحت ظلِّ شجرة، وإذا بذلك الرجل الذي عهدي به أنه مقعد في بيته، وإذا جاء للصَّلاة لا يصلِّي إلَّا جالساً، ولصوته أزيز من الآلام التي يُعانيها، فإذا به أمامي يجري وكأنَّه ابن العشـــرين، وحين وقف ســـألتُه: أين تلك المعاناة؟! وأين تلك الجراح؟! فقال لي: ذهب كلُّ شيء، ولم تُبقِ لي أفراحُ السُّيولِ من آلامي شيئاً!

كلُّ الَّذين حضروا تلك الصور كانوا يدركون أنَّها مجرَّدُ أيام، ثُمَّ ستنتهي فصول ذلك الربيع، وتعود الأرض مجدِبة من جديـــد، وكان الواحد منهم يعيش فـــرحَ اللَّحظةِ، وفي عمق مشـــاعره أنَّها إلى زوال، ومع ذلك كانوا يجدون بها ومن خلالها الحياة؛ فكيف لو أنَّ هـــؤلاء وقفوا في جِنان الخلد والنعيم، ورأوا هذه الصُّـــوَر التي يحكيها الله تعالى عن تلك اللحظات: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾.

- فيها أنهارٌ وليس نهراً واحـــداً، أنهارٌ من ماء لا يؤثِّر فيه القِدَم، ولا يتلوَّث بشيء، ويظلُّ صافياً ما بقي الزمان، وأنهارٌ من لبن لا يتغيَّر طعمُهـــا، وأنهارٌ من خمر فيها من اللَّذَّة ما لا عهد لك به، وفيها أنهارٌ من عسلٍ مُصَفًّى!





تخيَّـــلْ أنَّك تخرج في هـــذه الأثناء، وتقـــف أمام تلك الأنهار التي لا يتغيَّر ماؤها، ولا يأسَـــنُ مـــن طول المُكْث، وهي تجري بين ناظريك، وتبقى واقفاً ما بقي بك الزمان، وهي تتقلَّب في مشاعرك بألف صورة من البهجة والجمال، ثُمَّ تُحدِّث نفسَـــك أنـــك تعود مرة أخرى لتشـــبع من ذلك المعنى، ثمَّ تأتي ثالثة ورابعة وتصنع من جماليات المواقف على شواطئ تلك الأنهار ما يُشـــبع مشاعرَك، وفي كلِّ مرة تعود وقد ألقت بالحياة في كلِّ جزء من روحك ومشاعرك!

فكيف لو قيل لك: إنَّك لا تقف على أنهار الماء فقط، بل تقف في الوقت نفســـه على أنهار الماء واللبن والخمر والعســـل؟! وكيف لو قيل لك: إنَّـــك لا تتكلَّف الخروج للبحث عنهـــا والنَّظَر إليها، وإنَّما هـــي على باب قصرك، ومراتـــع جمالك، ومواضع قدمك، وأقـــرب ما تكون إلى بصرك، وتجدِّد صورَها ومباهجَها في كلِّ لحظة؟!

• حين يقال لـــك: نهر يجـــري.. فتتخيَّـــل حالاً من الفوضـــى، وانســـياب المياه فـــي كلِّ اتّجاه، وزيـــادة هنا ونقصاناً هناك، ومع تلك الأوديـــة كلَّ ما في الطَّريق من أوساخ، بخلاف أنهار الجِنان فشيء يفوق خيالَك، يصف لك نبيُّك ﷺ واحداً منها فيقول: «**الكَوْثَـــرُ نَهَرٌ في الجَنَّةِ،**



حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، ومَجْرَاهُ على الدُّرِّ وَالياقوتِ، تُربَتُه أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَماؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وأبيضَ مِنَ الثَّلْجِ»..

وعدد آنيته كنجوم السَّماء، ومن ورد عليه وشرب منه شربة واحدة، لم يظمأْ بعدها أبَداً!

وأقول لك مرة ومرتين وعشـــراً: تأمَّلْ ما بقي زمانك في أنهارٍ من ماء ولبن وخمر وعسل، وتصوَّرْ وهي تجري بين ناظريــك، وحَافَتَا كلِّ نَهَرٍ من ذهـــب، ومجراها على الدُّرِّ والياقــوت، وتُربَتُها من المِسْــكِ، وماؤها أحلى من العَسَل، وأبيض من الثَّلج، ولك أن تشرب، ولك أن تقف واجماً على شواطئها ما بقي بك العمر!

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

* * *





١٠

أولُ زُمرةٍ تَدخل الجنَّة

• في «الصَّحِيحَينِ» [البخاري: ٣٣٢٧، ومسلم: ٢٨٣٤]: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ على صُورةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهم على أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّماءِ إضاءةً، لا يَبُولُونَ، ولا يتغوَّطونَ، ولا يَتْفِلُونَ ولا يَتَمَخَّطونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ، ومَجامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ** (الأَلَنْجُوجُ، عودُ الطِّيبِ) **وأَزْواجُهُمُ الحورُ العِينُ، عَلى خَلْقِ رجلٍ واحدٍ، على صُورَةِ أَبيهِمْ آدَمَ، سِتُّون ذِراعاً في السَّماءِ**».

• دعني أسألك: كم أخذ الجمالُ الظَّاهريُّ من عمرك؟ كم استنزف من أوقاتك وأنت تبحث عنه وتجدُّ في السَّير إلى رؤية صوره وأشكاله؟ هل تستطيع أن تحسب لي الأوقاتَ التي قضيتَها على المرآة وأنت تغيِّر لباسك، وتُعيد ترتيبَ شعرك، وتُحاول تجديدَ ذلك الرُّوتين بين كلِّ حين وآخر؟

هل تستطيع أن تحسب لي كم الأموال الَّتي دفعتَها على بشرتك، وتحسين صورتك، ونقاء وجهك، وتقديم





نفســك للعالم من حولك؟ بل دعني أقــول لك أكبر من ذلك: كم الأمــوال التي أنفقتَها في عمليَّــاتٍ جراحيةٍ في التخفيف من وزنك، أو تعديــل عضو من أعضائك؟ وأنا أحدِّثك وأدرك أنه لا سبيل لك إلى حساب تلك الأموال والجهود والأوقات لكثرتها وكلفتها، وكلُّ ذلك وأشــواق قلبك أن تظهر في صورة أبهج جمالاً وروحاً ومعنى.

- دعني أنقلك إلى صُوَر مختلفــة من الجمال، صُوَر مليئةٍ بالدَّهشة، صُوَر تبقى تتأمَّلها ما بقيت الدنيا، وتشتاق أن تلقاها أعجل ما يكون: «**أولُ زُمْرَةٍ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ على صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ**»..

املأ عينَك بالقمر في ليلة الرابع عشر في أجواء صافية لا يخالطُها شيءٌ من الغيوم، ثُمَّ عُدْ بخيالك لترى الصُّور ذاتها على أول زمرة تدخل الجَنَّة يوم القيامة! ثم احسب لي من صور الجمال ما شئتَ لتلحق بهذه الصورة!

ثُمَّ تأتي المجموعة الأخرى تتبعهم: «**ثُمَّ الَّذين يَلُونَهم عَلى أشدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّماءِ إِضاءَةً**».. فقلِّب طرفك في السَّماء لعلك ترى أشــدَّ الكواكب إضاءةً؛ لتقارن هذه بتلك في يوم القيامة.

- هل تريد أن تتعرَّف على مســاحاتٍ من الجمال في تلك النهايــات؟ ذلك الجمــال الذي مــلأتَ منه عينَــك، وتخلَّل



مشاعرك، وألقى بمشاهدِ الجمال والجلال في روحك، لا تُكَدِّره صورةٌ من صـور الدُّنيا، فأولئـك «**لا يَبولـونَ، ولا يَتَغَوَّطونَ، ولا يَتْفِلُونَ، ولا يتمخَّطونَ**» فإذا ما احتاج آكلُ النَّعيم إلى خروج شيء من ذلك، خرج على هيئةِ رشح كالمسك!

• يحكي لك النَّبيُّ ﷺ صورةً من صـور النَّعيم، فيذكر لك حتَّى نوع المشطِ الَّذي يُمَشِّطون به رؤوسهم: «**أَمْشاطُهُمُ الذَّهَبُ**»، المشط الذي في يدك ترجِّل به رأسك من الذهب!

• دعني أسألك ثانية: هل مرَّت بك ريحُ عودٍ في يوم من أيامك؟ هل جرَّبْتَ بخـوراً من عود متميِّز، فعاث في مشاعرك بالجمال، وبقيتْ تلك الرائحةُ زماناً في لباسك، وظلَّ كلُّ من لقيك يسـألك عن هـذه الروائح التي تملأ الجوَّ جمالاً وروحاً ومعنى؟!

هل كنتَ يوماً في الحَرَم، فأكرمك الله تعالى بشيء من روائح العُودِ الَّذي يُبَخَّر به؟ دعني أخبرك أنني في مرات عند بعض مشاهد هذا الطِّيب أشـعر بأنني ألقى شيئاً من نعيم الجِنـان! فكيف إذا قيل لك: إن هـذه الروائح الَّتي مرَّتْ بك، وأثَّرتْ فيك، وصنعتْ مشاعرك؛ لا شيء البتَّةَ أمام ذلك الطِّيـب الذي وصفه رسـولُك ﷺ لأهل الجَنَّة حين قـال: «**ومَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ**»: الأَلَنْجُـوجُ، عودُ الطِّيبِ!





لن أقول لك بأن مرة واحدة هناك تكفي دهراً من عمرك، ولكنِّـي أرجو لي ولـك أن نقف بين يدي هـذا النَّعيم، ونحسب أفراحنا الحقيقية في ذلك الحين.

- **أما الأزواج فالحور العِين**، وما أدراك ما الحور العِين؟!
- بل كيف بك وأنت تقرأ هذه الأحوال التي ستكون عليها فـي الجنان كما فـي «صَحيح مسـلم» [٢٨٣٦]: من حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ: **«مَـنْ يَدْخُل الجَنَّةَ يَنْعَم لا يَبْأَسُ، لا تَبْلَى ثيابُه، ولا يَفْنَى شَبابُه»**.

- وفي «صَحيح مسـلم» [٢٨٣٧]: من حديث أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ، وأبـي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن النَّبـيِّ ﷺ، قال: **«يُنادي منادٍ: إنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْـقَمُوا أَبَـداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحيَوْا فَلا تَموتُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَداً»**.

- وفي «سُـنن التِّرمذيِّ» [٢٥٤٥]: مـن حديث مُعاذِ بن جَبل: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْداً مُرْداً مُكَحَّلِينَ، أبناءَ ثَلاثينَ، أَوْ ثَلاثٍ وَثَلاثينَ سَنَةً»**.

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!



١١
أَزواجُ الجَنَّــة

• قالَ تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢، ٢٣].

- وقالَ تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨].

- وقالَ تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصَّافات: ٤٨، ٤٩].

- وفي «الصَّحِيحَين» [البخاري: ٣٢٥٤، ومسلم: ٢٨٣٤]: من حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال ﷺ: «**لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتانِ مِنَ الحُورِ العِينِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ من وراء العَظْمِ واللَّحْمِ**».

- وفي روايةٍ لمسلم: «**وما في الجَنَّةِ عَزَبٌ**».

- وفي «سُنن التِّرمذيِّ» [٢٥٣٥]: من حديث أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ: «**إنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ يومَ القِيامَةِ ضَوْءُ وُجوهِهِمْ على مِثْلِ ضَوْءِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، والزُّمرة الثَّانيةُ عَلى مِثْلِ أَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّماءِ، لِكُلِّ رَجُلٍ منهم زَوْجَتانِ، وعلى كلِّ زَوْجَةٍ سَبْعونَ حُلَّةً، يُرَى مُخُّ سَاقِها مِن وَرائِها**».



- وفي «صَحيح البخاري» [٢٧٩٦]: من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، قال ﷺ: «**لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ ما بَينَهُما، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحاً، وَلَنَصِيفُها عَلى رَأْسِها خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيها**».

- **قرارُ الزَّواج بالذَّات من أطول القرارات في حياتك، وأكثرها تعقيداً، وأطولها اختياراً وشورى!** وكلُّ ذلك لأنَّك تبحث عن صُوَرٍ تُشْبِعُ مشاعرَك، وتروي فكرك، وتجري في شغاف قلبك وروحك.

كلُّ بني البشر يتَّفِقون على الجمال، ويختلفون في غيره، يتهافتون على صُوَره، ويدفعون من أجل ذلك كلَّ شيء، وكم مرة ضحَّى الإنسانُ ببعض قيمه ومبادئه من أجل ذلك الجمال الذي ينشده في شريكة الحياة.

- **هل تعرف كمِّيَّة الجمال الذي ستلقاه في الجنان من خلال الحور العين؟** هل قرأت عن وصف تلك الحوريَّات؟ تعالَ معي لهذا العرض الذي يعرضه ربُّك تعالى في كتابه الكريم، وهو يصف لك بعض مشاهد الجمال لتلك الحوريات.

- قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾: **والحوراء**: التي في عينها كحل وملاحة، وجمال وحُسن وبَهاء، **والعِين**: حِسان الأعين مع وساعتها.



وقال تعالى: ﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾ كأنهن اللُّؤلؤ الأبيض الرطب، الصَّافي البهي، المستور عن الأعين والريح والشمس، الذي يكون لونُه من أحسن الألوان وأجملها، ولا عيب فيه بوجهٍ من الوجوه.

والحورُ العِين لا عيب فيهنَّ، كاملاتُ الأوصاف، جميلات النُّعوت.

- وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ أي: كأنَّهُنَّ الياقوت في الصَّفاء، والمرجان في البَياض.. الصَّفاء صفاء الياقوت، والبَياض بياض اللُّؤلؤ.

ويصفُ لك رسولُ الله ﷺ ذلك الصَّفاءَ، فيقول: «**لكلِّ امْرِئٍ زَوجَتانِ مِنَ الحُورِ العِينِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَراءِ العَظْمِ واللَّحْمِ**».. صَفاء للدرجة التي يُرى مخّ سوقهن من وراء اللَّحم والعظم!

- لن تتخيَّل تلك الصُّور حتَّى تقرأ هذا الفصلَ الختاميَّ في تلك المشاهد: «**لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهما، وَلَمَلَأَتْهُ ريحاً، وَلَنَصِيفُها عَلى رَأْسِها خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا وَما فِيها**».

• ثمّ هل تَعرف كيف سيتمُّ ذلك الاستمتاع بين الجِنسين في رُبوع الجِنان؟ كيف سيجد الإنسان مشاعرَه في هذه المعنى؟





يصف لك رسولُ الله ﷺ كمالَ النَّعيم في ذلك، ويخبرك عمَّا يجري في تلك المساحات، ويبيِّن لك أن تلك اللَّذات بين الجنسين تتمُّ وبصور طويلة وكثيرة وممتعة إلى غاية أمانيك، كما في «سُنن الترمذيِّ» [٢٥٣٦]: من حديث أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ: «**يُعْطَى المُؤْمِنُ في الجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا في الجِماعِ**»، فقيل: يا رسول الله، أوَ يُطيقُ ذلك؟ فقال: «**يُعْطَى قُوَّةَ مئةٍ**».

وفي «سُنن الدَّارِميِّ» [٢٧٢١]، و«مسند أحمد» [١٩٣١٤]: من حديث زيدِ بن أرقم، قال: قال ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مئةِ رجلٍ في الأَكْلِ والشُّرْبِ والجِماعِ والشَّهْوةِ**»، فقال رجلٌ من اليهود: إنَّ الَّذي يأكلُ ويشربُ تكون منه الحاجةُ، فقال: «**يَفِيضُ من جِلْدِهِ عَرَقٌ، فإذا بَطْنُه قَدْ ضَمُرَ**».

يُعطى الرجل في الجَنَّةِ قوَّة مئة رجل في الجماع، حتَّى تكتمل شهواته، وتجري أمانيه كما أراد!

أما قلتُ لك يوماً:
إنّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!

***





١٢

نصفُ أهلِ الجَنَّـة

• في «الصَّحِيحَينِ» [البخاري: ٦٥٢٨، ومسلم: ٢٢١]: من حديث عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه، قال: كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ في قُبَّةٍ، فَقالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تكونوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قُلْنا: نَعَمْ، قالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكونوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قُلْنا: نَعَمْ، قالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تكونوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قُلْنا: نَعَمْ، قالَ: «إِنِّي لأرجو أن تَكونُوا شطرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلُها إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ في أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كالشَّعْرَةِ البَيْضاءِ في جِلْدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ، أو كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ».

• ماذا لو قِيل لك: إنَّك ستدخل سباقاً على وظيفة من الوظائف في عددٍ يصلُ للآلاف، وتلك الجهة لا تُريد سوى خمسة فحسب؟

ماذا لو أنَّك كنتَ في مواقف الانتظار لنتيجة اختبار، وقد كانت الأسئلةُ صعبةً جِدّاً، وبلغك أنَّ النَّاجحين ثلاثة فقط، وأنت تعرف أنَّ مَنْ معك أقدر منك على الجواب، وأوعب منك بهذا المكان؟





إنني أجزم بأنك في كلا الموقفين وقفتَ وقد ملأ اليأسُ قلبكَ ومشاعرَك، وكنتَ تعتقد أنَّ وقوفَك مجرَّدُ صورةٍ من صور الإتمام، ولا علاقة له ببناء مستقبلك في شيءٍ من تلك الأحلام.

• تخيَّلْ هذا الموقف وأنت تقف بين يدي ربِّك تعالى في عَرَصات القيامة، وأمامك جَنَّة ونار، لكن قد وقر في روعك قولُ رسولِك ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أن تَكونوا شطْرَ أهلِ الجَنَّةِ**».. العالم من فجر البشرية إلى بعثة محمَّد ﷺ نصف، وأنت وأمتك نصفها الآخَر!

- ماذا لو كنتَ في ذلك المكان، وقد قرأت حديث رسولك ﷺ ألفَ مرَّة: «**وما أَنْتُمْ في أَهْلِ الشِّرْكِ إلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضاءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْداءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ**»!

- تخيَّلْ أنَّك تقف في مواقف القيامة، وأنت تُؤمن بعظيم رحمة الله تعالى، وأنه أبقى تسعةً وتسعين جزءاً من الرَّحمة لمثل ذلك اليوم، وتقف وقد ملأ قلبَك مقامُ نبيِّك ﷺ عند ربِّه تبارك وتعالى للدَّرجة التي كان فيها هو صاحبَ المقام المحمود، والشافع المشفَّع بين يدي الله تعالى، وتقف مع أمم أهل الأرض، وتُدرك أنَّك وأمَّتك



نصف أهلِ الجَنَّةِ، وما أنتم في أهل الشِّــرك إلَّا كالشَّعرةِ البَيضاءِ في جلد الثَّورِ الأَسْوَدِ!

فكيف وأنت تقــرأ قولَ رســولك ﷺ: «**أَهْــلُ الجَنَّةِ عِشْــرونَ وَمِئَةُ صَفٍّ، ثَمانونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وأَرْبَعونَ مِنْ سائِرِ الأُمَمِ**» [رواه التِّرمذيُّ: ٢٥٤٦]؟!

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!







١٣
أُحِبُّ أنْ أَزْرَعَ

• في «صحيحِ البُخاريِّ» [٢٣٤٨]: من حديث أبي هُرَيرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يَوْماً يُحَدِّثُ، وعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البادِيَةِ: «**أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ في الزَّرعِ، فقالَ لَهُ: أَلَسْتَ فيما شِئْتَ؟ قالَ: بَلَى، ولَكِنْ أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، قالَ: فَبَذَرَ، فبادَرَ الطَّرْفَ نَباتُه واسْتِواؤُهُ واسْتِحْصادُهُ، فَكانَ أَمْثالَ الجِبالِ، فيقولُ اللهُ: دونَكَ يا بنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ**»، فقالَ الأعرابيُّ: واللهِ، لا تجده إلَّا قُرَشِيّاً، أو أَنْصارِيّاً، فإنَّهم أصحابُ زرعٍ، وأما نحن فلسنا أصحابَ زرعٍ. فضحكَ النَّبيُّ ﷺ.

• **الأمانيُّ في الجِنان لا حدودَ لها**، وما يجري في قلبك ومشاعرك ستجده في صُوَر لا سبيل لك إلى عدِّها وحصرها.

يحكي هذا الحديثُ حالَ أعرابيٍّ دخل الجَنَّةَ، ووجد فيها كلَّ شيء، وذاق نعيماً لم يمرَّ به قط، وجرتِ الحياةُ في قلبه ومشاعره إلى أقصى ما يكون، ولكنه تذكَّرَ أيام





الدُّنيا وهو مولَعٌ بالزَّرع، وشَغوفٌ بالبذر، وقد اقتطع عمره كلَّه فيه، فإذا به يأتي إلى ربِّه تبارك وتعالى ويعرض عليه طلباً، ويسأله أن يهبه ربيعاً من العمر.

لك أن تتصوَّر أنَّ كلَّ ذلك النعيم الذي تحدَّث الله تعالى عنه فقال: «**فـي الجَنَّةِ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَر على قَلْبِ بَشَرٍ**» [رواه البخاريُّ: ٧٤٩٨، ومسلم: ٢٨٢٤]، ومع ذلك ما زالت الأماني في قلب الأعرابيِّ، وما زال يتوقُ إلى مشاهد أخرى، ويريد أن يرى الحياةَ من خلال تلك الشهوات التي قامت في قلبه ومشاعره فحسب.

يأتي ربَّه تبارك وتعالى، ويقف بين يديه، ويعرض عليه سؤالَه وحاجتَه، ويخبره أنَّه يريد أن يزرع، لقد اشتهى الأرض، وحنَّ إلى زرعها، واشتاق إلى صوره ومشاهده، ويريد أن يرى تلك الصُّور التي غابت عنه، فيقول الله تعالى: «**أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟**».. ألم تجد رغباتك وشهواتك وأمانيك في الجنان؟ أما ملأتْ عينَك هذه المباهجُ التي لا عهد لك بها، ولم تمرَّ في خاطرك يوماً من أيام الدهر؟ قال: «**بَلى! ولَكِنْ أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ**»، لقد عزم على رؤية تلك المشاهد من جديد، ويريد أن يكرِّر صورة من صور الحياة التي عاشها، والمشاهد التي ألفها، والرحلة التي قضاها.



مدهش هذا المشهد في ولع الأعرابي بالزرع، ورغبته المُلِحَّة فيه رغم كلِّ ما عنده، ورغم تقرير الله تعالى له بأنه يملك كلَّ شــيء، إلَّا أنه يُصِرُّ على أن يرى تلك المشاهد تزدلف بين يديه، وأشــدُّ صور الدهشــة في ذلك أنَّ الله تعالى يأذن له، ويمنحه تلك الأماني، ويبعثه إلى ما يريد، ويتركه يزرع في الجنة كما يريد.

ثم ماذا؟ كان في الدنيا إذا زرع وتعب وجهد، واحتاج إلى رؤية تعبــه وجهده وعنائه؛ فعليــه أن يبقى زمناً، وأن ينتظر طويلاً، وأن يبقــى مُدداً حتى يبلــغ تلك الأماني، ويعيش كلَّ تلــك المدة وهــو يكابد تلــك الآفات التي تعرض له، والمشــاق التي تواجهه حتى يراه، وفي مرات كثيرة رغم كلِّ ما يفعل لا يكاد يرى شيئاً، فهل ما سيجري في الآخرة سبيله تلك الصور التي كان يعيشها، ويبقى في تلك المساحات التي يتذكَّرها؟ أو أنَّ عالم الآخرة وما في الجنان يختلف عن كلِّ صور الدُّنيا؟

بدأ يزرع، ولكن ليس عليه حســاب مشــقة الطريق، ولا تكاليــف الرحلة، ولا عناء الانتظــار، بمجرَّد ما زرع هاج مرة واحدة، فإذا به في تمامه وكماله واستوائه، فكان أمثالَ الجبال، وامتلأت عينه في لحظةٍ ألفَ مرة.





تخيَّلْ لو أنَّ إنســاناً مولَعاً كهذا الأعرابي بشيء من الأماني، وقــد عاش عمــره على أن يقضي في ســبيل الوصول إليهــا زمناً، فإذا بها في الجنــة كلمح طرفه أو كقيامه وقعــوده، أو كلمح بصــره، فإذا هــي بين يديه وأعظم مــن كلِّ تلك الصور التي كان يراها والمشــاهد التي يعيشها!

غداً في ساحات الجنان تنعم بما شئتَ، وكيف شئتَ، وبالطريقة التي تشــاء، فإن عَنَّ لك شــيءٌ خاصٌّ، وأمنيةٌ فرديــةٌ، فمُدَّ بصرَك وســتراها بين يديــك، وتملأ عينك ومشاعرك وقلبك في لحظات.

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!







١٤

حبَّـةُ خَـرْدَل

• في «الصَّحِيحَيـنِ» [البخاري: ٦٥٦٠، ومسلم: ١٨٣]: من حديث أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يقول اللهُ تعالَى: مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ فَأَخْرِجوهُ، فَيَخْرُجونَ وَقَدِ امْتُحِشُوا وَعادوا حُمَماً، فَيُلْقَونَ في نَهْرِ الحَياةِ، فَيَنْبُتونَ كَما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَميلِ السَّيلِ، أَلَمْ تَرَوا أَنَّها تَنْبُتُ صَفْراءَ مُلْتَوِيةً؟!**».

• بعد أن وقف النـاسُ طويلاً في ساحات القيامة، وجرى وزنُ أعمالهم، وعرف كلُّ إنسان عملَه، وأثر ذلك على مستقبله في النهايات، ودخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وتوجَّه أهلُ النَّار إلى النَّارِ، وانتهت المسألة عن آخِرها، ولم يبقَ شيءٌ يمكن أن يُدار عليه سُؤالٌ ونقاش؛ يأتي حلمُ الله تعالى ورحمته ومغفرته، فتتجلَّى في صور عظيمة تدلُّك على عظيم حلمه تعالى.

ـ لقد بلغت أحلامُ أصحاب الجنَّةِ أمانيهم الكبارَ، وصلوا إلى ما يريدون، تحققت لهم أحلامُهم كيفما





يشــاؤون، وانتهت مع ذلــك كلُّ فصول القلــق والخوف والاضطراب التي كانت تُلازمهم في دنياهم، أو في مواقف القيامة حين السؤال والجواب، والحساب والعقاب.

- لقد وصلــوا إلى الجَنَّةِ، ويجري لهــم صور من كمال النَّعيم، جاءت في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ [الأعراف: ٤٤].

- وفــي «الصَّحِيحَينِ» [البخــاري: ٣٧٣٠، ومســلم: ٢٨٤٩]: من حديث أبي ســعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قــال ﷺ: «**يُؤْتى بالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَــحَ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّــارِ، فيُنادي مُنادٍ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرونَ، فيقولُ: هَلْ تَعْرِفونَ هَذا؟ فَيَقولونَ: نَعَمْ، هَذا المَــوْتُ، وَكُلُّهُم قَــدْ رَآهُ... فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يقولُ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلودٌ فَلَا مَوْتَ...**».

هل تخيَّلْتَ هذا الموقف؟ هل امتلأت مشاعرك غبطة وســروراً لهذه النهايات؟ هل وجدتَ الحيــاة بمثل هذا المعنى الكبير؟ مــاذا يمكن أن يُقال لإنســان وقد دخل الجنَّــة وذاق النعيم، ثمَّ ينــادى عليه حتَّى يقــف ليُذبَحَ الموتُ أمامــه، وتنتهي قصة الــزوال بالكلية، وتبدأ قصة الحياة، ويقال له مع ذلك: «**خُلودٌ فَلَا مَوْتَ**»؟!

- **لم تنته الحكاية بعدُ**: ما زالت ثمة فصول مُورقة في هذا النَّعيم، يُؤتَى إلى أهــل النَّار، إلى الذين انصرفوا إلى



الشـــقاء، وأخذوا طريق العــذاب، وكانت النهاية أســـوأ ما يجري فـــي حياة إنســـان، فيقول الله تعالـــى لملائكته: «**أَخْرِجوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ في قَلْبِـــهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِـــنْ إِيمـــانٍ**»، والخردلة متناهيـــة في الصِّغـــر، وهي أقل ما يكون من الأشـــياء، ولا وزن لها فـــي الميزان لخفتها، يقال للذين كان الإيمـــانُ في قلوبهم مثل هـــذه الخردلة: اخرجوا من النَّار، وابدؤوا الحياة الأخرى كما تشاؤون.

الحديث لا يتكلَّم عن إيمان حِسِّـــيٍّ معـــروف له أثر في حياة صاحبه، ولا يتكلَّم عن أوزان معروفة تثقل في الموازين، كلَّا! بل يتكلَّم عن إيمانٍ في قلبِ صاحبه لا يُســـاوي شـــيئاً، إيمان في ضعفه وخفَّته كحبَّة الخردل التي تضعها في الميزان فلا تحرِّك مؤشره، فضلاً عن أن تُحْدِث شيئاً في خفَّته وثقله.

حتى هؤلاء يخرجون، ويودِّعون النار، ويُغمسون في نهر الحياة، ويعـــودون للجنان، ويَلقون فيهـــا ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خطر على قلب بشر، أجل، إذاً **كيف بأولئك الَّذين بذلوا وقدَّموا، واستفرغوا وسعهم في طاعة الله تعالى، وتركوا ألف معنى للحياة؟!**

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!





١٥

رُؤيـةُ اللهِ تعالـى

• **ماذا لو قِيل لك: إنَّك يوم القيامة سترى ربَّك!** ستقف بين يديه، وتراه عياناً ليس بينك وبينه أحد! سترى ذلك الذي خلقك وخلق هذا الكون العريض، وأوجدك وأجرى لك هذا النَّعيم! ستراه عياناً وجهاً لوجه! حَدِّثني عن قلبك ومشاعرك وأنت ترتقب هذه اللحظة في مواقف القيامة!

ـ **لقد اشتاقَ نبيُّ الله تعالى موسى** عليه السلام إلى هذا المعنى وهو في الدُّنيا، وأحبَّ أن يلقَى هذا الشرفَ الكبيرَ، فسأل ربَّه تَبارك وتَعالَى ذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فأخبره الله تَعالى أنَّه لا سبيل له إلى هذه الأماني في الدنيا: ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].



فكيف بك وأنت على هذه الحقيقة، وأمام هذا المعنى الكبير؛ ليس بينك وبين الله حجاب؟!



• **ماذا لو قِيل لك: إنَّ هناك لقاء سـيجمعك بالمَلِك**، وسيكون هذا اللِّقاء تكريماً لك؟ حَدِّثني لو جاءتك رسالة تخبرك بأنك سـتلتقي بالملـك، أو اتصل بـك الديوان يخبرك بأن لك لقاء مع الملك، وسيتمُّ تكريمُك في ذلك اللِّقاء؛ كيف ستستقبل هذا الخبر؟ كيف ستعيش لحظات ما قبـل اللِّقاء؟ قل لي: ماذا سـتلبس؟ وكيف ستسـتعد للِّقاء؟.. وهذا في لقاء مَلِك من ملوك الدُّنيا..

فكيف لـو قيل لـك: إن لك موعـداً مع ربِّـك، ولقاءً مع العظيم، وستراه عياناً ليس بينك وبينه ترجمان؟! أيُّ نعيم أدهش وأعظم وأجلُّ من أنَّك تلقَى ربَّك في لحظة رضا وتكريم؟!

• **في «الصَّحِيحَينِ»** [البخاري: ٧٤٣٧، ومسلم: ١٨٢]: من حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ نَاساً قالوا: يا رسولَ الله، هَلْ نَرَى رَبَّنا يَوْمَ القِيامَةِ؟ فقال ﷺ: «**هَـلْ تُضَارُّونَ فـي رُؤْيَةِ القَمَـرِ لَيْلَةَ البَـدْرِ؟**» قالوا: لا، يا رَسُـولَ اللهِ، فقال: «**هَلْ تُضَارُّون في الشَّـمْسِ لَيْسَ دونَها سَحابٌ؟**» قالوا: لا، يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**».

- **وفي «الصَّحِيحَينِ»** [البخاري: ٤٨٥١، ٧٤٣٥، ومسلم: ٦٣٣]: من حديث جَريرِ بن عبد الله البجليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كُنَّا جُلوساً مَعَ النَّبيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إلـى القَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْـرَةَ، فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عياناً، كَمَا تَرَوْنَ هَذا، لَا تُضَامُّون في رُؤْيَتِهِ**».





- وفي «صَحيح البخــاريِّ» [٣٥٩٥]: من حديث عَدِيِّ بن حاتمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال ﷺ: «**وَلَيَلْقَيَــنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ يُتَرْجِمُ لَه**».

- وفي «صَحيح مســلم» [١٨٠]: من حديث أبي موســى الأشــعريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «**وما بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُروا إلَى ربِّهِمْ إلَّا رِداءُ الكِبْرِياءِ عَلى وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ**».

- وفي «صَحيح مسلم» [١٨١]: من حديث صُهيبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «**إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَى: تُريدونَ شَــيْئاً أَزيدُكُمْ؟ فَيَقولون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجوهَنا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ وتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟**»، قال: «**فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فَما أُعْطوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهِم تَبارَكَ وَتَعالَى!**».

- وقد قال الله تعالــى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

- وقال تعالــى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال أهل العلم: **الحُسنى**: الجنَّة، **والزيادة**: النَّظَر إلى الله تعالى.



- تخيَّــلْ كلَّ هَذا النَّعيم الَّذي ســتلقاه في ســاحات القيامة، وقارنه بلقاء ربِّك ووقوفك بين يديه، ورؤيتك له دون ستر ولا حجاب! حَدِّثني عن قلبك ومشاعرك، واسْرُدْ عَلَيَّ ألفَ حكاية يقفهــا مثلي ومثلك بين يدي الله تعالى، وفي ساعة رضا وفوز وكرامات!





حين تتعب ويطول عليك الطَّريقُ، وتجد من مضِّ ألَمِ الحياةِ، تَذَكَّر هذه اللَّحظة التي ستقف فيها بين يدي ربِّك، وسيعرض عليك عرضاً مدهشاً: «**تُريدونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟**»، ثُمَّ لا يكون جوابك إلَّا: «**أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا، وَتُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟!**» ثم يكشف الله تعالى لك عن وجهه، فما جرى على عينك من نعيم كما جرى تلك اللحظة، ولا ألقى الله تعالى في مشاعرك دهشةً كما هي دهشتك تلك اللَّحظة!

فكيف لو أنك تلك اللحظة حانت منك التفاتةٌ، وسمعتْ أُذُنُك طردَ الكُفَّار والمنافقين، وأُلقي على سمعِك قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]! إنَّك لتدرك حينها أنَّ ما جرى لك هو نوع من الاصطفاء والنعيم لا يجري إلَّا في حقوق المنعَّمين من أمثالك فحسب.

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!



* * *





١٦
سَلامُ المَلائِكة

• **هل سمعتَ بخبر الملائكة؟** وأنَّ هذا الخَلْق العظيمَ من حولك، وأقرب ما يكـــون إليك، ويعيشـــون معك، ويكتبون ويُسَـــجِّلون عليك كلَّ شـــيء، كما قـــال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

ـ أما كنتَ مشتاقاً يوماً لترى تلك الصور التي أخبرك عنها رسولُ الله ﷺ بقوله: «**يَتَعاقَبونَ فيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهارِ، ويَجْتَمِعونَ في صَلاةِ الفَجْرِ، وصَلاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذينَ باتوا فيكُمْ فَيَسْـــأَلُهُمُ اللهُ تَعالَى وَهُـــوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبادي؟ فَيَقولونَ: تَرَكْناهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيناهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**» [رواه البخاري: ٧٤٨٦، ومسلم: ٦٣٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه].

• **تعالَ معي لأصف لك مشـــاهدَ من لقائهم في ساحات القيامة**، ولتقف بمشـــاعرك على جُزء من ذلك النعيم الذي ينتظرك، وتلك المباهج التي ستقف عليها في تلك الظِّلال!



ـ **يخبر ربُّك تعالى عن أول تلـــك اللِّقاءات**، وأجمل تلك المشاهد، وأروع تلك المعاني: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ





رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزُّمر: ٧٣]..

المؤمنون في الطريق إلى عالم الجِنان، إلى تلك النهايات المنتظرة، إلى الفوز والكرامات، تسوقُهم الملائكة صفوفاً إلى تلك المشاهد وذلك النعيم، وعند الوصول تُقابلهم الملائكةُ بالسَّلام والحَنان، والجمال والكرامات: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾..

تخيَّلْ وأنت في منظر الطريق إلى الجِنان، وتخيَّلْ وأنت تَلْقَى الملائكة في استقبالك، والترحاب بك، وإعلان النتائج الكبرى التي تنتظرك، ويأتي التعبير في استقبالك: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾..

وهذا الترحاب في أول لقاء، وعند أبواب الجِنان؛ فكيف بما يجري بعد ذلك في جنان الخلد ومواعيد الحياة الكبرى؟!



ـ **ثَمَّةَ مشهدٌ آخر**: تدخل الملائكةُ من كلِّ الأبواب مهنِّئةً ومبارِكة ومسلِّمة لتلك النهايات، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].





ولو أنك ألقيتَ بمشاعرك في هذا المشهد الجميل: ﴿يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾ ليُلقـوا عليهـم هـذا المعنى الكبير: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾؛ لكان كافياً عن كلِّ شيء!

تخيَّلْ أنَّـك بلغتَ أمانيك، ودخلـتَ الجِنان، ورأيتَ ربَّك، وأحلَّ عليـك رضوانَه، ومع ذلك تجري مشـاهد السَّلام، وتباريك البِشْـر في كلِّ مرة من أولئك الملائكة؛ مبارِكين مهنِّئين مسـلِّمين: ﴿يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾.

أما قلتُ لك يوماً:

إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!







١٧

مشاهدُ منَ النَّعيم

• **تخيَّلْ أنَّكَ وقفتَ في تلك الظلال، وإذا بنبيِّك ﷺ بين يديك وجهاً لوجه!** ذلك النَّبيُّ الـــذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

النَّبيُّ ﷺ الَّذي بقي ليلةً كاملةً يبكي ويردد: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

النَّبيُّ ﷺ الذي وقف علـــى المقابر يوماً فبكى، وقال: «**وَدِدْتُ أَنِّي رَأَيتُ إِخْوَانِي**» [رواه النسائي: ١٥٠، وصحَّحه الألبانيُّ]..

ثُمَّ دار الزمان حتى التقيتَ به، وفي الجِنان، وعلى حوضه الكوثر؛ فـإذا بك في لحظة ما أمام نبيِّـــك ﷺ الذي بذل كلَّ ممكن من أجلك! نبيِّك ﷺ الذي بذل وضحَّى، وســـالتْ منه الدماء، وكُسرت رباعيته، وحُبس في شِعْب أبي طالب ثلاث سنوات عِجاف، وهاجر ولقي من العناء في سبيل نجاتك!

• **تخيَّلْ معي أنَّك تُصافحه في تلك اللحظة، وتحتضنه،** وتلقى واحدة مـــن أمانيك التي طال الشـــوقُ إليها! تلقى حبيباً جرتْ كلُّ أشـــواقك وأمانيك لِلِقائِه، ثُمَّ حان اللِّقاء





بعد زمن طويل، فإذا بك معه، وفــي المكان ذاته، ووجهاً لوجه، وفي خواتيم الحياة، ومواعيد الفوز والكرامات!

- **ثُمَّ تلتفتُ يمنةً ويسرةً، فإذا بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي في المشــهد ذاته**، وتنظر هناك فإذا بســعد، وطلحــة، والزُّبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي عُبيدة عامر بن الجَرَّاح، ثمّ تُطيل النَّظَــر فإذا بابن عمــر، وبــلال، وصُهيب، وســعد بن الربيع، ومصعب بن عمير، ثُمّ تُعيد النظر فإذا بكبار التابعين: سعيد بن المســيِّب، وعُروة بن الزُّبير، ومحمد بن أبي بكر الصِّدِّيق، ثمّ تلتفت هنا وهناك بإذا بك تتذكَّر أسماء مرَّت عليك في التاريخ، وإذا بهم معك في ذلك الموقف وجهاً لوجه..

- ثمَّ لمَّا امتلأتْ مشاعرك بالأشــواق، **فإذا بأهلك من آباء وأزواج وأبناء من حولــك**، كما قال ربُّك: ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآبِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ ﴾ [الرعد: ٢٣].

- ثمَّ تَحِين منك التفاتةٌ رابعة، **فإذا بأصدقائك وصحبك** ورفقاء الدَّرب الطويل معك في ذلك المكان، **فيا لله كم هي أفراح تلك اللَّحظات! وكم هي مباهج الخواتيم في حياتك!**

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!





١٨

آخِـرُ الواصِليـن

• في «الصَّحِيحَين» [البخاري: ٦٥٧١، ومسلم: ١٨٦]: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً. فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى. فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ، فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. قَالَ: فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا. أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي، أَوْ أَتَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟»، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً.

- وفي «صَحيح مسلم» [١٨٧]: من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ؛ فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا؛ فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا. فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ. وَيُعَاهِدُهُ أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ تعالَى يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا.

ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ لأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَلَّا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟! فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا.

ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هٰذِهِ لأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَلَّا تَسْأَلَنِي غَيْرَها؟! قَالَ: بَلَى، يَا رَبِّ، هٰذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ».



فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ. فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**».

- ولمسلم أيضاً [١٨٨]: من حديث أبي سعيدٍ بنحوه، وفيه: «**ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ. فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ**».

- وفي مسلم [١٨٩]: عن المُغيرةِ بن شُعبة، عن رسولِ الله ﷺ، قال: «**سألَ موسى عليه السلام ربَّه تعالى: مَا أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَما أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ؟ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنازِلَهُمْ وأَخَذوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقالُ له: أَتَرْضَى أَنْ يَكونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلوكِ الدُّنْيا؟ فَيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقولُ: لَكَ ذلكَ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ، فقالَ في الخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقولُ: هَذا لَكَ وعَشَرَةُ أَمْثالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قالَ: ربِّ، فَأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولَئِكَ الَّذينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْها، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُر عَلى قَلْبِ بَشَرٍ**».



• **هل تخيَّلْتَ آخــرَ الواصلين للجِنــان، وتخيَّلْتَ في المقابل ما الذي أخَّره حتَّى كان آخرَ الواصلين؟** لقد تأخَّر لأنه لا يملك عملاً يُوصله للجنَّة من أول الطريق، وليس لديه ما يبلغه تلك الآمال.

لقد وصل إلــى الجنَّة بعد أن انتهى كلُّ شــيء، وصل وحين أشــرف على أبوابها، ورأى تلك الجموعَ فيها، أدرك يقيناً أنه لا مكان يســعه، ولا فراغ يستوعبه، فلا حظَّ له في نعيم الجنان.

يقول الله تعالى له: ادخل، ويذهب ثــم يعود ويقول: يا ربِّ، وجدتُها مَلْأَى! ليس هناك مكانٌ يمكن أن أجلس فيه، لا ســبيل لدخولها البتة! ويعــود الله تعالى يقول له: ادخل الجنَّــة، فيذهب ثم يعود ويقول: يــا ربِّ، وجدتُها مَلْأَى! فتأتي الأحلام في ثوب لا سبيل لتصوُّره وتخيُّله: «**اذْهبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، ولَكَ عَشَرَةُ أَمْثَالِ الدُّنْيا**».. ليس لك مكانٌ تأوي إليه وتبقى فيه وتجلس في ظلال ذلك النعيم فحسب، بل لك مثل الدُّنيا عشر مرات!

حين سمع الرجل ذلك المعنى، قال: يا ربِّ: «**أتسخرُ بِي وأَنْتَ المَلِكُ؟!**»، لقــد وقفتُ على أبواب الجنَّة مراراً



وهي مَلْأَى، ولا سبيل إلى مقعد واحد فيها؛ فكيف تقول لي: «اذْهبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، وَلَكَ عَشَرَةُ أَمْثالِ الدُّنْيا»؟!

المدهش بحقٍّ: أن هــذا آخر رجــل يدخلها، وملكه ونعيمه عشــرة أضعاف الدنيا، وأن هــذا المُلك هو أدنى نعيم يلقاه أصحاب الجِنان!

عَشَــرةُ أَمثالِ الدُّنيا لأدنى أهلِ الجَنَّــة منزلة؛ فكيف بالَّذين أحبُّوا الله تعالى، وعبدوه، وبذلوا في سبيله، ودفعوا كلَّ ممكن، وما زالوا على الطَّريق حتَّى لقوه!

دخل الجنَّة ووجد تلك الأحلام التي وعده الله تعالى بها، وكان أول الملتقين به زوجتان من الحور، كما أخبر النَّبيُّ ﷺ: «**ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ. فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَــاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ**».

أما قلتُ لك يوماً:

إنّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!





١٩

أُحِلُّ عليكم رِضْواني

• في «الصَّحِيحَين» [البخاري: ٦٥٤٩، ومسلم: ٢٨٢٩]: من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ، قال: قال ﷺ: **«إنَّ الله تبارك وتعالى يقولُ لأهلِ الجَنَّةِ: يا أهلَ الجَنَّةِ، فيقولونَ: لبَّيكَ وسَعْدَيكَ، فيقولُ: هل رَضِيتُم؟ فَيَقولونَ: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتَنا ما لم تُعْطِ أحداً مِنْ خَلْقِكَ؟! فيقولُ: أنا أُعْطِيكُم أفضلَ مِنْ ذلك، قالوا: يا ربِّ، وأيُّ شيءٍ أفضلُ مِنْ ذلك؟! فيقولُ: أُحِلُّ عليكُم رِضْواني، فلا أسخَطُ عليكم بعدَه أبداً»**.

• لقد انتهت فصول الدُّنيا كلُّها، انتهت قضيةُ العمل، وبدأت قضايا الحساب والجزاء، وجرتْ مشاهدُ ذلك الحساب، وبلغ النَّاس أحلامهم، ودخل أهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، ووجدوا ما وعدهم ربُّهم تبارك وتعالى من نعيم! ثم ماذا؟ ماذا بقي من تلك الأحلام؟ ما الذي بقي منها يستحقُّ الانتظار؟

في مرات كثيرة، وأنت في دنياك، يطيبُ لك مجلسٌ من المجالس، تلقى فيه روحَك وقلبك ومشاعرك، وتتمنَّى أن تطولَ تلك الساعات، وتظلُّ ترى سرعة تلك الأوقات





التي تمرُّ من زمن ذلـك اللِّقاء، وتتمنَّى أَلَّـو كنتَ تملك القرارَ في ذلـك المكان لتعطي الجالسـين وقتـاً مفتوحاً ما بقي بهم الزمان؛ فكيف بك وأنت في الجِنان؟!

قوم فازوا في النِّهايـات، وتحقَّقت لهم أحلامُهم، وجرى عليهم النَّعيم بدخول الجنان، وقد قـال الله تعالى في وصفِ أقلَّ من هذا المشهد بألفِ مرَّةٍ، وسمَّاه فوزاً عظيماً، حين قال: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فكيف بقومٍ وصلوا الجنانَ، وذاقـوا النَّعيمَ، وأقبلوا علـى الحيـاة، فيأتـي الله تعالى يقـول لأهـل الجِنان ولأصحـاب النعيـم: «**يا أَهْلَ الجَنَّـةِ! فيقولـونَ: لَبَّيكَ وسَعْدَيْكَ، فيقولُ: هَلْ رَضِيتُم؟ فيقولونَ: ومَا لنَا لَا نَرضى وقـد أعْطَيْتَنا ما لـم تُعْطِ أحـداً مِـنْ خَلْقِـكَ فيقولُ: أنا أُعْطيكُم أفضـلَ مِنْ ذلك، قالوا: يا ربِّ، وأيُّ شـيءٍ أفضـلُ مِنْ ذلـك؟! فيقـولُ: أُحِـلُّ عليكـم رِضْواني، فلَا أَسْخَطُ عليكم بعدَه أبداً**».

أما قلتُ لك يوماً:
إنَّ يوم القيامة سيكون يوماً رائعاً؟!



خاتمة



• **لعلك تسأل: هذا النعيم لمن؟** لمن هذه الخواتيم المدهشة، والنهايات الملهمة، ومشاهد الفرح التي تسقي المشاعر بالحياة؟

فيقال لك: حين تؤمن بربِّك، وتلتزم بشرعه، وتُقبل على منهجه، وتُعظِّم أمرَه، وتَتَّبع نبيَّك ﷺ، وتأتسي بسيرته وسُنّته؛ فأنت أحقُّ من يعيش هذه المباهج، ويلقى هذا النعيم!

هذه النهايات ليست بصعبة ولا كبيرة، وإنَّما تحتاج إلى شيء من الصَّبر حتى تلقَى هذه المشاهد الَّتي مرَّت في ذاكرتك من خلال هذه الأسطر التي تقرؤها في هذه اللَّحظة من عمرك، فدونك الحياة.



• ولو لم يكن من كلِّ هذه المعاني إلَّا قول رسولك ﷺ: «**يُؤْتَى بأشدِّ النَّاسِ بُؤْساً في الدُّنْيا، مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغةً في الجَنَّةِ، فيقالُ له: يا بنَ آدمَ، هَلْ رأَيتَ بُؤْساً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لا، واللهِ، يا ربِّ، ما مرَّ بي**

بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رأَيتُ شِــدَّةً قَطُّ» [رواه مسلم: ٢٨٠٧]؛ لكان كافياً عن كلِّ شيء، فكيف بك وأنت في مشاهد الحياة؟!

* * *



فهرس المحتويات







* * *